

المكتبة الأهلية . بمصر

الكتاب المختار

في
سيرة المختار

صلى الله عليه وسلم

تأليف

الشيخ مصطفى الغلاييني

مدرس اللغة العربية في المدرسة السلطانية والكليه الاسلاميه في بيروت سابقاً

الطبعة الثالثة

١٣٤٢ هـ — ١٩٢٤ م

حق اعادة الطبع محفوظ للمؤلف

المطبعة الرحمانية بمصر

فهرست الكتاب

صفحة	صفحة
٤٦	٢ المقدمة
٤٦	٤ أجمال عن العرب قبل الاسلام
٤٦	٤ بلادهم ومواقمها
٤٧	٨ انسابهم وطبقاتهم
٤٨	١٣ ممالك العرب قبل الاسلام
٥٠	١٦ أخلاقهم وعاداتهم
٥١	١٩ تمهيد
٥٢	٢٠ كيف قام الدين الاسلامي
٥٤	٢٢ نسب النبي صلى الله عليه وسلم
٥٤	٢٢ أدوار حياة الرسول
٥٥	٢٣ } الدور الاول من حياته
٥٨	٢٣ } ويبتدىء من جملة الى النبوة
٥٨	٢٧ شذرة من معيشته قبل النبوة
٦٠	٣٠ } الدور الثاني من حياته
٦٠	٣٠ } يبتدىء من النبوة الى الهجرة
٦١	٣٢ فترة الوحي - الدعوة سرّاً
٦٢	ثم جهراً
٥٦	٣٣ السنة الخامسة من النبوة فما بعدها
المصطلق	٣٨ بدء انتشار الدين الاسلامي
٦٣	٤٠ } الدور الثالث من حياته ويبتدىء
	٤٠ } من زمن الهجرة الى وفاته
	٤٤ السنة الاولى من الهجرة
	٤٥ مشروعية القتال

صفحة	
٩٨	بعثات إلى اليمن
١٠٠	حجة الوداع
١٠١	وفود العرب
١٠٣	السنة الحادية عشرة
١٠٣	مرض الرسول
١٠٥	وفاة الرسول
١٠٧	دفنه عليه السلام
١٠٩	الخلافة بعده
١١٢	خاتمة في أشياء متفرقة
١١٢	أولاده عليه السلام
١١٢	أزواجه وسراريه الطاهرات
١١٤	أعمام الرسول أبناء عبد المطلب
١١٤	عماته عليه السلام بنات عبد المطلب
١١٥	أمه من الرضاع وحاضنته
١١٥	أفراسه وغير ذلك
١١٦	هياته وبعض أحواله
١١٧	شماثله وأخلاقه عليه السلام
١١٩	معيشته صلى الله عليه وسلم
١٢٠	نموذج من معجزاته
١٢٣	فصاحته عليه السلام
١٢٤	شيء من جوامع كلمه وحكمه وفيه ما ينيف على ٢٢٠ حديثاً

صفحة	
٦٥	غزوة بني قريظة وإبطال التنزي
٦٧	آية الحجاب
٦٨	فريضة الحج
٦٨	السنة السادسة
٦٨	غزوة بني لحيان
٦٩	غزوات الغابة والحديبية
٧١	بيعة الرضوان
٧٢	مراسلته عليه السلام
٧٤	السنة السابعة
٧٤	غزوة خيبر وحوادث
٧٦	غزوة وادي القرى
٧٦	عمرة القضاء
٧٧	حوادث
٧٨	السنة الثامنة، واقعة مؤتة
٧٩	فتح مكة
٨٦	قصة وحشى قاتل حمزة
٨٧	واقعة حنين
٩٠	غزوة الطائف
٩٠	وفود هوازن ورجوع النبي
٩١	السنة التاسعة
٩١	سفانه وعدى
٩٢	غزوة تبوك
٩٧	حوادث وحج أبي بكر بالناس
٩٨	السنة العاشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

CHILKEN 1958

حمداً لمن جعل أخبار الأولين موعظة للآخرين ، وسيرة
الماضين عبرة للحاضرين والآتين ، وصلاةً وسلاماً على رسوله
الأمين ، قدوة للمتقين وإمام المرسلين ، أرسله على حين فترة
من الرسل ، فهدى به قوماً فسقوا عن الهدى الألهي ، وحادوا
عن الوحي القلبي ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تأدب بأدابه .

وبعد : فلما كانت سيرة هذا الرسول الكريم ، والرووف
الرحيم ، من أهم ما يجب على الأمة تلقيه وينبغي درسه وحفظه ،
ولاسيما تلك النابتة التي قضى كما قضى على أكثر العوام ،
أن لا تعرف شيئاً من أخبار نبيها ، وأحواله وأعماله ، وشماله
وفضائله ، دعاني حب الخير لأولئك العوام والطلاب الكرام ،
أن أضع سيرة وسطاً بين السير ، أذكر فيها ما هم معرفته
كل مسلم ، متجنباً في ذلك التطويل والتقصير ، طاوياً كشحاً
عمالم يصح ، أو كان في روايته ضعف من عقل أو نقل ، لتكون
ذخيرة لطالبا ، نافعة للراغب فيها نجاءت بحمد الله وافية بالغرض
على ما أظن ، وكنت ابتدأت بتأليفها درساً فدرسا ، وكنت
أولئك شفويًا ثم كتابة على قسم من التلاميذ في الكلية

الاسلامية في بيروت . وقد أودعت في أثناء الكلام بعض التعليقات الجديرة بالاعتبار ، في فلسفة الحوادث المهمة ، وعلل بعض الاحوال ، وبيان بعض الأمور المشككة . ولما بلغت النهاية سميتها : « خيار المقول في سيرة الرسول » صلى الله عليه وسلم . ثم رأيت بعد ذلك ان اختصرها ، لما وجدت من الحاجة إلى ذلك ، فأختصرتها في هذه الرسالة على وجه الایجاز ، ولم أذكر فيها سوى شذرات مهمة من أحواله وأعماله ، مع ذكر جميع غزواته ، وضربت صفحاتاً عن سيراياه ، إلا ما كان له تعلق ببعض الغزوات فقد نهت عليه في الحاشية بعلامات خاصة وأتبعتها بخاتمة ذكرت فيها أولاده وأزواجه وأعمامه وعماته وأفراسه وغير ذلك ، وهيئته وبعض أخلاقه ومعيشتة ، ثم بنموذج من معجزاته ، وشيء من جوامع كله وسميتها :

﴿ لباب الخيار في سيرة المختار ﴾

صلى الله عليه وسلم

فأسأل الله أن يجعلها مقبولة لديه ، انه خير مسؤول بل لا مسؤول سواه . وقد جعلتها هدية لعوام الأمة وتلاميذ المدارس ، لتكون لهم عوناً على درس بعض شمائله وأخلاقه وأعماله العظيمة المهمة التي جاء بها صلى الله عليه وسلم

اجمال عن العرب قبل الاسلام

بلادهم ومواقعها

جزيرة العرب واقعة في الجنوب الغربي من آسيا، ويحيط بها البحر الأحمر وصحراء التيه المتصلة بترعة السويس من غربها والخليج الفارسي من شرقها وبحر عمان الذي هو قسم من بحر الهند من جنوبها والصحاري الممتدة بين بلاد الشام والفرات من شمالها .

ومساحتها ١١٠٠٠٠٠٠ ميل مربع أو ٣١٥٦٥٥٨ كيلو متراً مربعاً أو ١٢٦٠٠٠ فرسخ مربع، وقد عملنا حسابها بالميل والكيلومتر والفرسخ بناء الحساب متقارباً ونفوسها اثنا عشر مليوناً، وقيل عشرة ملايين . وهي تقسم إلى ثمانية أقسام :

القسم الاول — الحجاز، وهو الواقع في الجنوب الشرقي من أرض طور سيناء على ساحل البحر الأحمر، وسمى حجازاً لأنه حاجز بين تهامة ونجد، وهيامة محصورة بين الحجاز

وَالْيَمَنِ ، وَمَكَّةُ الْمَكْرَمَةُ وَالْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ مِنْ هَذَا الْقِسْمِ ،
وَفِي وَسْطِ مَكَّةَ مَسْجِدُهَا الْجَامِعُ الْمُسَمَّى بِالْحَرَمِ ، وَالْكَعْبَةُ
فِي وَسْطِهِ وَبِجَانِبِهَا الْحَجْرُ الْأَسْوَدُ ، وَمَكَّةُ هِيَ الْبَلَدُ الَّذِي وُلِدَ
فِيهِ الرَّسُولُ وَنَشَأَ ، وَفِيهِ أَكْرَمُ بِلَانِبِوَّةٍ ، وَتُسَمَّى أَيْضًا بَكَّةَ
وَقِيلَ إِنَّ بَكَّةَ هُوَ بَطْنُ مَكَّةَ ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَزْدِحَامِ النَّاسِ
فِيهِ لِأَنَّهُ يُقَالُ : بَكَّةُ إِذَا زَجَمَهُ ، وَتُسَمَّى أُمَّ الْفَرَى ، وَكَانَتْ
تُسَمَّى فِي الْقَدِيمِ الْبَاسَ وَالْبَاسَةَ وَالْبَسَاسَةَ .

وَأَمَّا الْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ فَكَانَتْ تَسْمَى يَثْرِبَ وَهِيَ دَارُ هِجْرَةِ
الرَّسُولِ وَقَطْبُ نَصْرَتِهِ وَفِيهَا قُبْرَةُ الطَّاهِرِ ، وَلِكُلِّ مَنْ مَكَّةَ
وَالْمَدِينَةَ حَرَمٌ أَوْ حُدُودٌ مَذْكُورَةٌ فِي كِتَابِ الْفِقْهِ ، وَأَرْضُ
تِهَامَةَ تُحْسَبُ الْيَوْمَ مِنَ الْحِجَازِ .

القسم الثاني — اليمن : وهو الواقع في جنوب الحجاز ،
وفي شماله بلاد عسير ، وفيه عدة مدن مشهورة بنجارة البن ،
وهي مخا وحديدة وعدن ، وفيه مدينة سبأ (مأرب) وصنعاء
وسميت اليمن بهذا الاسم لوقوعها عن يمين الكعبة إذا
استقبلت المشرق ، كما أن بلاد الشام عن شمالها .

القسم الثالث — حضر موت في شرق اليمن على ساحل

بِحَرْهُنْدَ ، وَمِنْهُ يُخْرَجُ الْعَمُودُ ذُو الرَّائِحَةِ الذَّكِيَّةِ الْمَعْرُوفُ
بِالْقَاقِلِي .

القسم الرابع - إقليم مُهْرَةَ فِي شَرْقِ حَضْرَمَوْتِ
القسم الخامس - إقليمُ عَمَانَ الْمُتَّصِلُ بِالْخَلِيجِ الْفَارِسِيِّ
مِنَ الشَّمَالِ ، وَمِنَ الشَّرْقِ وَالْجَنُوبِ بِبَحْرِ الْهِنْدِ ، وَيُوجَدُ فِيهِ
قَائِلٌ مِنَ النِّحَاسِ .

القسم السادس - الحَسَا : وَيُجَاوِزُهُ جَزَائِرُ الْبَحْرَيْنِ
بِالْخَلِيجِ الْفَارِسِيِّ ، وَيَتَدَلُّ عَلَى سَاحِلِهِ إِلَى نَهْرِ الْفِرَاتِ ، وَسَكَانُ
هَذَا الْقِسْمِ يَسْتَخْرِجُونَ اللُّؤْلُؤَ

القسم السابع - نَجْدٌ : وَأَرَاضِيهِ مَرْتَفَعَةٌ وَهُوَ فِي وَسْطِ
الْجَزِيرَةِ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالْحَسَا وَصَحَارَى الشَّامِ وَإِقْلِيمِ الْيَمَامَةِ وَهُوَ
يَتَّصِلُ بِالشَّامِ شِمَالًا وَالْعِرَاقِ شَرْقًا وَالْحِجَازِ غَرْبًا وَالْيَمَامَةِ جَنُوبًا ،
وَأَرْضُهُ أَطْيَبُ أَرْضٍ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ

وَفِي نَجْدِ أَرْضِ الْعَالِيَةِ الَّتِي كَانَ يَحْمِيهَا كَلَيْبُ بْنُ وَائِلِ بْنِ
رَبِيعَةَ ، حَتَّى أَفْضَى ذَلِكَ إِلَى قَتْلِهِ وَنُشُوبِ حَرْبِ الْبَسُوسِ الَّتِي
دَامَتْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، حَتَّى ضُرِبَ بِهَا الْمَثَلُ : « أَشَامٌ مِنْ حَرْبِ
الْبَسُوسِ »

وَفِيهَا جَبَلٌ مُعْكَادٌ الَّذِي لَمْ تَتَّبِتِ الْعَرَبِيَّةُ الْفُصْحَى بَعْدَ
فَسَادِهَا إِلَّا فِي أَهْلِهَا

وَفِي نَجْدٍ كَثِيرٌ مِنَ الْوَاحَاتِ وَالْخَيُْولِ الْجَمِيلَةِ (الْمَعْرُوفَةُ
بِالْكُحَيْلِ) وَهِيَ مَرْغُوبَةٌ فِي بِلَادِ الدُّنْيَا كَافَّةً
وَفِي جَنُوبِ نَجْدٍ أَرْضُ الْيَمَامَةِ

القسم الثامن - إقليم الأحقاف ، وهو في أرض منخفضة
في جنوب بلاد العرب وفي الجنوب الغربي من عُمَانٍ ويلحق به
أرض اليمامة ، وكان هذا الإقليم معموراً بأقوام من الجبابرة
يُقَالُ لَهُمْ عَادٌ ، وَقَدْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِرِيحٍ عَظِيمَةٍ وَأَهَالَ عَلَيْهِمُ
الرَّمَالَ .

وكانت قديماً تُقسَّمُ إلى ستة أقسام : الحجاز واليمن
ونجد وتهامة والإحساء واليمامة .

فاليمامة بين نجد واليمن وهي في جنوب نجد بين الإحساء
شرقاً والحجاز غرباً ، ومن مدائن اليمامة وهجر ، وتسمى
العروض أيضاً لأنها معترضة بين نجد واليمن .

وتهامة تُحَسَبُ الْيَوْمَ من أرض الحجاز كما قدمنا ، وهي
واقعة بين اليمن جنوباً والحجاز شمالاً

والاحساء تمتد على ساحل الخليج من عمان إلى أرض
بُصرى وتسمى بالبحرين ، ومن مداينها الاحساء والقطيف .
والحجاز قد دخل فيه تهامة . واليمن انفصل عنه أقاليم
حضر موت ومهرة وعمان . ونجد دخل فيه اليمامة والاحساء

أنسابهم وطبقاتهم

طبقات العرب ثلاثة وهي :

العاربة الاولى - أو العرباء وتسمى البائدة وهم العرب
الخلص الأولون ، وقد ذهبنا عنا تفصيلات أخبارهم لتقادم
العهد ، وقد كانوا شعوباً وقبائل كثيرة ، وهم من ولد إرم
ابن سام بن نوح . وهم تسع قبائل : عاد وثمود وأميم وعبيل
وطسم وجديس وعمليق وجزم الأولى ووبار ، ومنهم تعلم
اسماعيل جد الرسول العربية وهم أقدم الأمم بعد قوم نوح
وأعظمهم قدرة وأشدهم قوة وآثاراً في الأرض ، وقد انتقلوا
إلى جزيرة العرب من بابل لما زاحمهم فيها بنو حام ، ثم كان
لكل فرقة منهم ملوك وآطام وقصور إلى أن غلب عليهم
بنو يعرب بن قحطان ، وكانت مساكنهم في اليمامة من
جزيرة العرب .

الطبقة الثانية — العربُ العارِبةُ الثانيةُ وِبَعْضُهُمْ يَسْمِيهَا
بِالْمُتَعَرِّبَةِ ، وَهُمْ مِنْ وَلَدِ جُرْهُمِ بْنِ قَحْطَانَ بْنِ عَابِرٍ ، وَعَابِرُ
أَسْمٌ هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَتْ مَسَاكِنُهُمْ بِالْحِجَازِ وَيُسَمَّوْنَ
أَيْضًا بِالْعَرَبِ الْيَمَانِيَةِ ، لِأَنَّ مَوَاطِنَهُمْ كَانَتْ فِي الْيَمَنِ . وَمِنْ
الْعَرَبِ الْمُتَعَرِّبَةِ أَوْ الْعَارِبَةِ الثَّانِيَةِ بَنُو سَبَأٍ ، وَأَسْمٌ سَبَأٌ عَبْدُ
شَمْسٍ ، فَأَمَّا أَكْثَرُوا الْغَزْوَ وَالسَّبْيَ سُمُو سَبَأً ، وَهُوَ ابْنُ
يَشْجَبَ بْنِ يَعْرَبَ بْنِ قَحْطَانَ ، وَكَانَ لِسَبَأٍ عِدَّةٌ أَوْلَادٍ ، مِنْهُمْ
جَمْبَرٌ وَكَهْلَانُ — وَجَمِيْعُ قَبَائِلِ عَرَبِ الْيَمَنِ وَمُلُوكُهَا التَّبَاجِعةُ مِنْ
وَلَدِ سَبَأٍ الْمَذْكُورِ مَاعِدَا عِمْرَانَ وَأَخَاهُ فَانَهْدَا أَبْنَاءَهُمَا رِبْنَ حَارِثَةَ
ابْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ . وَكَانَ هَؤُلَاءِ الْعَرَبُ يُغَابُ عَلَيْهِمُ الْمَيْلُ
إِلَى الْحَضَارَةِ فَسَكَنُوا الْمُدُنَ وَأَسَّسُوا الْمَمَالِكَ ، وَمِنْهُمْ مَلُوكُ
الْحِيْرَةِ وَمَلُوكُ الشَّامِ أَيْ الْغَسَّانِيُّوْنَ .

وَكَانَتْ هَذِهِ الطَّبَقَةُ أَيْ الْعَرَبُ الْمُتَعَرِّبَةُ مُعَاصِرَةً أَخِيْرًا
لِإِخْوَانِهَا مِنْ عَرَبِ تِلْكَ الطَّبَقَةِ أَيْ الْعَارِبَةِ الْأُوْلَى ، وَكَانُوا
مُوَالِيْنَ لَهُمْ وَمَنَاصِرِيْهِمْ وَلَمْ يَزَالُوا مُجْتَمِعِيْنَ فِي رِحَابِ الْبَادِيَةِ ،
بَعِيْدِيْنَ عَنِ الْمَلِكِ الَّذِي كَانَ لِإِخْوَانِهِمُ الْعَارِبَةِ الْأُوْلَى إِلَى أَنْ
تَشَعَّبَتْ فِي الْأَرْضِ فَصَائِلُهُمْ ، وَتَعَدَّدَتْ أَنْخَاذُهُمْ وَعَشَائِرُهُمْ ،

وَمَا عَدَدُهُمْ ، فَزَاحَمُوا مُعَاَصِرِيهِمْ أَبْنَاءَ الطَّابِقَةِ الْأُولَى وَأَنْتَهزُوا
فُرْصَةَ اضْمِحْلَالِ دَوْلَتِهِمْ وَأَنْتَزَعُوا مِنْهُمْ عَلَى مَا يُقَالُ ، فِي الْقَرْنِ
الثَّامِنِ قَبْلَ مِيلَادِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَاسْتَجَدُّوا بِالِالدَّوْلَةِ بِمَا
أَسْتَأْنَفُوهُ مِنْ عَزْمِهِمْ .

وَكَانَ قَحْطَانُ بْنُ عَابِرٍ أَوَّلَ مَنْ نَزَلَ الْيَمِينَ وَغَلَبَ عَلَيْهَا
حَتَّى مَلَكَهَا وَلَبِسَ التَّاجَ ، وَمَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ يَعْرِبُ وَمُهو أَوَّلُ
مَنْ نَطَقَ بِالْعَرَبِيَّةِ ، وَقِيلَ بَلْ أَبُوهُ قَحْطَانُ أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ
بِهَا مِنَ الْعَرَبِ الْمُتَعَرِّبَةِ ، أَيِ الْعَرَابَةِ الثَّانِيَةِ وَليْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ
أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ ، لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ لِلْعَرَبِ جِيلٌ
آخِرٌ وَهُمْ الْعَرَابَةُ الْأُولَى ، وَمِنْهُمْ تَعَلَّمَ قَحْطَانُ وَابْنُهُ يَعْرِبُ
الْعَرَبِيَّةَ .

وَقَدْ غَلَبَ يَعْرِبُ عَلَى قَوْمِ عَادٍ فِي الْيَمِينَ وَعَلَى الْعَمَلِقَةِ
فِي الْحِجَازِ وَوَلَّى اخْوَتَهُ جَمِيعَ أَعْمَالِهِمْ فَوَلَّى جُرْهُمًا عَلَى الْحِجَازِ ،
وَوَلَّى عَادَ بْنَ قَحْطَانَ عَلَى الشَّجَرِ ، وَوَلَّى عُحْمَانَ بْنَ قَحْطَانَ عَلَى
بِلَادِ عُحْمَانَ .

وَكَانَ مِنْ نَسْلِ يَعْرِبِ بْنِ قَحْطَانَ التَّبَابِئَةِ مُلُوكُ الْيَمَنِ
الْمَشْهُورُونَ بِالْحَضَارَةِ وَالتَّمَدُّنِ ، وَفِي عَصْرِهِمْ حَصَلَ سَيْلُ الْعَرَمِ

فَأَغْرَقَ الْيَمَنَ وَفَرَّقَ الشُّكَّانَ وَجَعَلَهُمْ طَوَائِفَ ، وَكَانَتْ هَذِهِ
الْحَادِثَةُ عَلَى مَا يُقَالُ سَنَةَ (١٢٠) قَبْلَ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
وَكَانَ مِنْ هَذِهِ الطَّوَائِفِ آلُ غَسَّانَ مُلُوكُ الشَّامِ مِنْ قَبْلِ الرُّومَانِ
وَيُسَمَّوْنَ الْغَسَّاسِيَّةَ ، وَمِنْهَا آلُ الْمُنْدِرِ مُلُوكُ الْحِيرَةِ مِنْ قَبْلِ
الْفُرْسِ وَيُسَمَّوْنَ الْمُنَادِرَةَ

الطَّبَقَةُ الثَّلَاثَةُ — الْعَرَبُ الْمُسْتَعْرَبَةُ ، أَيِ التَّابِعَةُ لِلْعَرَبِ ،
وَمِنْهُمْ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُقَالُ لَهُمُ الْعَدْنَانِيُّونَ نِسْبَةً
إِلَى عَدْنَانَ ، وَهُوَ أَوَّلُ شَعْبٍ أَشْهَرَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَسُمُّوا
بِالْمُسْتَعْرَبَةِ لِأَنَّ آبَاءَهُمْ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْخَلِيلِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ
عَرَبِيًّا بَلْ جَاءَ بِهِ أَبُوهُ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ مَعَ أُمَّهِ هَاجَرَ إِلَى مَكَّةَ ،
فَتَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ بِبِنْتِ مُضَاضٍ سَيِّدِ قَبِيلَةِ جُرْهُمَ ، وَتَكَامَمَ
بِالْعَرَبِيَّةِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ لُغَةً أَبِيهِ .

وَقَدْ تَنَاسَلَ مِنْهُ جِيلٌ عَظِيمٌ كَانُوا شُعُوبًا وَقَبَائِلَ مُتَفَرِّقَةً ،
بَعْضُهَا بَدَوٌ أَعْتَادَ الْمَيْشَةَ فِي الْبَادِيَةِ تَحْتَ الْخِيَامِ ، وَيُقَالُ لَهُمُ
الْأَعْرَابُ (وَيُسَمَّى كُلُّ مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ أَعْرَابًا وَلَوْ كَانُوا غَيْرَ
عَرَبٍ ، وَمُفْرَدُ الْأَعْرَابِ أَعْرَابِيٌّ) وَيَعِيشُونَ مِنْ أَلْبَانِ الْإِبِلِ
وَالنَّمْرِ وَالْحُومِهَا ، وَيَتَنَقَّلُونَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ فِي طَلَبِ الْعُشْبِ

والماء ، وِبَعْضُهَا حَضْرٌ يَسْكُنُ الْمَدْنَ كَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَجَدَّةَ
وغيرها ، ويُقَالُ لَهُمُ الْعَرَبُ ، وَلَمْ يَخْضَعُوا قَطُّ لِسُلْطَةِ خَارِجَةٍ
عَنَّهُمْ .

وَمِنْ وَلَدِ عَدْنَانَ مَعَدٌ وَمِنْ مَعَدٍ نِزَارٌ ، وَأَشْتَهَرَ مِنْ
أَوْلَادِ نِزَارٍ أَرْبَعُ شُعُوبٍ وَهِيَ إِيَادُ وَأَنْمَارُ وَرَبِيعَةٌ وَمُضَرٌ .
وَبَنُو مُضَرَ كَانُوا أَهْلَ الْكَثْرَةِ وَالغَلْبَةِ فِي الْحِجَازِ ، وَقَدْ
انْفَرَدُوا بِرِئَاسَةِ الْحَرَمِ ، وَأَشْتَهَرَ مِنْ قَبَائِلِهِمْ كِنَانَةٌ ثُمَّ قُرَيْشٌ
الَّتِي مِنْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقُرَيْشٌ كَانَتْ أَشْهَرَ قَبَائِلِهِمْ وَقَدْ بَلَغَتْ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ
مِنَ الْمِيلَادِ الْمَسِيحِيِّ مَبْلَغًا عَظِيمًا مِنَ الشَّرَفِ وَعُلُوِّ الْهَيْمَةِ ، وَقَدْ
آلَتْ إِلَيْهَا رِئَاسَةُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، وَكَانَ لَهَا نَوْعٌ مِنَ السُّلْطَنَةِ
وَالْمَشُورَةِ عَلَى جَمِيعِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ .

وَكَانَ التَّقْدِمُ فِي قُرَيْشٍ لِابْنِي لُوَيٍّْ وَكَانَ سَبِّدُهُمْ قُصِيًّا لِمَا
كَانَ لَهُ فِيهِمْ مِنَ الشَّرَفِ وَالْقَرَابَةِ وَالثَّرْوَةِ وَالْأَوْلَادِ ، وَقَدْ
تَوَلَّى رِئَاسَةَ الْكَعْبَةِ سَنَةَ (٤٤٠) بَعْدَ الْمَسِيحِ ، وَكَانَ مِنْهُ بَنُو
عَبْدِ مَنَافٍ وَكَانَ الْقَائِمُ بِأَمْرِهِمْ هَاشِمًا ثُمَّ ابْنُهُ الْمُطَّلِبُ ثُمَّ أَخَاهُ
عَبْدَ الْمُطَّلِبِ جَدُّ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ



وَمُهَنَّاكَ طَبَقَةً خَامِسَةً نَشَأَتْ بَعْدَ حَضَارَةِ الْإِسْلَامِ إِلَى
يَوْمِنَا هَذَا ، وَهُمْ الَّذِينَ فَسَدَتْ أَعْتُهُمْ عَلَى تَدَايِ الْأَيَّامِ بِسَبَبِ
مَخَالَطَتِهِمْ غَيْرَ الْعَرَبِ ، وَقَدْ مَرَّ عَلَيْهِمْ أَدْوَارٌ أَنْقَرَضَ فِيهَا
مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الدَّوَاةِ وَالسَّطْوَةِ فِي الْجَمَاعِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ،
وَهُمْ قَبَائِلٌ عَظِيمَةٌ ، وَشُعُوبٌ كَثِيرَةٌ ، يَسْكُنُونَ الْخِيَامَ ،
وَيَجُولُونَ فِي الْبَرَارِيِّ . وَأَشْهُرُهُمْ قَبِيلَةُ عَنَزَةَ وَصَخْرٍ وَسِبَاعَةَ
وغيرُهَا .

وَقَدْ دَخَلَ كَثِيرٌ مِنْ عَرَبِ الْجَزِيرَةِ الْمُدُنَ وَسَكَنُوا
حَوَاضِرَ الْبِلَادِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ ، وَأَخْتَلَطُوا بِأَهْلِ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ
وَالْمِصْرِيَّةِ وَالْمَغْرِبِيَّةِ ، حَتَّى صَارَ يُعَدُّ كُلُّ مَنْ تَكَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْ
أَهْلِ هَذِهِ الْبِلَادِ عَرَبِيًّا .

ممالك العرب قبل الإسلام

كَانَتْ مَمَالِكُ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ مَنْقَسِمَةً إِلَى دَوْلٍ كَبِيرَةٍ
وَمَمَالِكٍ صَغِيرَةٍ ، فَالدُّوَلُ الْكَبِيرَةُ ثَلَاثَةٌ :

أولها اليمن - وكان مقرُّ ملوكها (صنعاء) وأولُّ مَنْ
مَلَكَ مِنْهُمْ قَحْطَانُ بْنُ عَابَرَ ، وَعَابِرٌ هُوَ هُوْدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى

بَعْضِ الْأَقْوَالِ ، وَخَلَفَهُ عَلَى مُلْكِ الْيَمَنِ (٢٨) مَلِكًا . ثُمَّ انْتَقَلَ
الْمَلِكُ مِنْهُمْ إِلَى الدَّوْلَةِ الثَّانِيَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ مَلَكَ مِنْهَا (تُبَّعُ
الْأَوَّلُ) ابْنُ الْأَقْرَنِ وَخَلَفَهُ عِشْرُونَ مَلِكًا آخِرُهُمْ (ذُو جَدَنِ
الْحَمِيرِيُّ) الَّذِي تَغَلَّبَ عَلَيْهِ (أَرْيَاطُ) قَائِدُ جَيْشِ النُّجَاشِيِّ
مَلِكِ الْحَبَشَةِ سَنَةَ (٥٢٩ م) وَأَسْتَوَى عَلَى مَمْلَكَتِهِ وَضَعَهَا إِلَى
مَمْلَكَةِ الْحَبَشَةِ ، وَكَانَ أَرْيَاطُ الْمَذْكُورُ يَزْدَرِي الضُّعْفَاءَ ،
وَيُكَلِّفُهُمْ مَالًا يُطِيقُونَ مِنَ الْمَشَاقِّ ، فَجَزَعُوا لِذَلِكَ وَأَنْتَمَوْا
إِلَى (أَبْرَهَةَ) أَحَدِ رُؤَسَاءِ الْجَيْشِ ، فَأَخَذَ بِنَاصِرِهِمْ وَحَارَبَ
(أَرْيَاطُ) وَقَتَلَهُ وَقَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ ، وَبَعْدَ مَوْتِهِ مَلَكَ ابْنُهُ
(يَكْسُومُ) ثُمَّ أَخُوهُ (مَسْرُوقُ) فَاسْتَخْلَصَهَا مِنْهُ (سَيْفُ
ابْنِ ذِي يَزَنٍ) بِمُسَاعَدَةِ كِسْرَى أَنْوَشَرَوَانَ ، وَبَعْدَ مَوْتِهِ
تَغَلَّبَ عَلَيْهَا كِسْرَى ، وَبَقِيَتْ تَحْتَ سُلْطَتِهِمْ إِلَى سَنَةِ (٦٣٤ م)
حَتَّى فَتِحَتْ بِالْإِسْلَامِ ، وَكَانَ الْعَامِلَ عَلَيْهَا حِينَئِذٍ (بَاذَانُ) الَّذِي
أَسْلَمَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

الثانية المنارة — ملوك العراق وكان مقر ملكهم (الحيرة)
وهي قريبة من الكوفة وكانوا عملاً للأكسرة على عرب
العراق ، وأول من ملك على العرب بأرض الحيرة (مالك بن

فهم) وَيَنْتَهِي نَسْبُهُ إِلَى قَحْطَانَ (وَكَانَ مَلِكَهُ فِي أَيَّامِ مُلُوكِ
الطَّوَائِفِ قَبْلَ الْأَكْسِرَةِ) ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَخُوهُ (عَمْرُ بْنُ فَهْمٍ)
ثُمَّ ابْنُ أَخِيهِ (جَذِيمَةُ ابْنُ مَالِكِ بْنِ فَهْمٍ) ثُمَّ غَيْرُهُ إِلَى تَمَامِ
(٢٦) مَلِكًا ، ثُمَّ انْتَزَعَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَقِبَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ
مِنْ يَدِ آخِرِ مُلُوكِهَا (الْمُنْذِرِ) بْنِ النُّعْمَانِ .

الثالثة الفسانية — مُلُوكُ الشَّامِ وَعَدَدُهُمْ (٣٢) مَلِكًا ،
وَكَانُوا مُعَمَّالًا لِقِيَاصِرَةِ الرُّومِ عَلَى عَرَبِ الشَّامِ ، وَأَوَّلُ مُلُوكِهِمْ
(جَفْنَةُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ تَعْلَبَةَ) وَآخِرُهُمْ (جَبَلَةُ بْنُ الْأَيْهَمِ) وَقَدْ
أَسْلَمَ فِي خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
سَنَةَ (١٦ هـ) وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ خَرَجَ (عُمَرُ) إِلَى الْحِجَّ فَخَجَّ جَبَلَةُ
مَعَهُ ، فَبَيْنَمَا جَبَلَةُ طَائِفٌ إِذْ وَطِئَ رَجُلٌ مِنْ فِزَارَةٍ إِزَارَةً
فَلَطَمَهُ جَبَلَةُ فَهَشِمَ أَنْفَهُ ، فَأَقْبَلَ الْفِزَارِيُّ إِلَى عُمَرَ وَشَكَاهُ ،
فَأَحْضَرَهُ عُمَرُ وَقَالَ : أَفْتَدِي نَفْسَكَ وَإِلَّا أَمَرْتُهُ أَنْ يَأْطِمَكَ ،
فَقَالَ جَبَلَةُ : كَيْفَ ذَلِكَ وَأَنَا مَلِكٌ وَهُوَ سَوْقَةٌ ؟ فَقَالَ عُمَرُ إِنَّ
الْإِسْلَامَ جَمَعَكُمَا وَسَوَّى بَيْنَ الْمَلِكِ وَالسُّوقَةِ فِي الْحَدِّ ، فَقَالَ جَبَلَةُ
أَتَنْصَرُّ ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنْ تَنْصَرْتَ ضَرَبْتُ عَنْقَكَ ، فَقَالَ : أَنْظِرْنِي
لَيْلَتِي هَذِهِ فَأَنْظَرَهُ ، فَلَمَّا جَاءَ اللَّيْلُ سَارَ جَبَلَةُ بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ إِلَى

الشَّامَ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى قُسْطَنْطِينِيَّةَ ، وَتَبِعَهُ خَمْسُ مِئَةِ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ فَتَنَصَّرُوا عَنْ آخِرِهِمْ ، وَفَرَحَ (هَرَقْلُ) بِهِمْ وَأَكْرَمَهُ ثُمَّ نَدِمَ جَبَلَةٌ عَلَى فِعْلِهِ ذَلِكَ وَقَالَ :

تَنَصَّرَتِ الْأَشْرَافُ مِنْ عَارِ أَطْمَةَ

وَمَا كَانَ فِيهَا لَوْ صَبَرْتُ لَهَا ضَرَرُ

تَكَنَّفَنِي فِيهَا لَجَاجٌ وَنُخْوَةٌ

وَبِعْتُ لَهَا الْعَيْنَ الصَّحِيحَةَ بِالْعُورِ

فِيَالَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي وَلِيَتَانِي

رَجَعْتُ إِلَى الْقَوْلِ الَّذِي قَالَهُ عُمَرُ

وَهَذِهِ هِيَ الدُّوَلُ الثَّلَاثُ الْكُبْرَى فِي بِلَادِ الْعَرَبِ ،

وَأَمَّا الْمَمَالِكُ الصَّغِيرَةُ فَكَثِيرَةٌ مِثْلُ كِنْدَةَ وَغَيْرَهَا ، وَكَذَا

الْمُلُوكُ الْمُتَفَرِّقُونَ مِثْلُ كَلَيْبِ مَلِكِ نَبِيٍّ وَائِلٍ وَتَغْلِبِ الَّذِي قَتَلَهُ

جَسَّاسُ بْنُ مُرَّةَ ، وَمِثْلُ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرِ الْعَبْسِيِّ

أَخْلَاقِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ

مِنْ أَخْلَاقِهِمُ الْحَسَنَةُ وَعَادَاتِهِمُ الطَّيِّبَةُ الشَّجَاعَةُ وَالْعِفَّةُ

وَالشَّهَامَةُ وَالنَّجْدَةُ وَعُلُوُّ الْهَيْمَةِ وَالْحِمِيَّةُ وَحِفْظُ الْعُهُودِ وَالْإِيْفَاءُ

بِالْوَعُودِ وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى الْأَعْرَاضِ أَشَدَّ الْمَحَافَظَةِ ، فَقَدْ كَانَ عِنْدَهُمْ

الموت أسهل من العار (حتى أدى بهم ذلك إلى دفن بناتهم ،
وهن أحياء خشية العار) ومنها المدافعة عن الجار وحفظ
الجواز والكرم والضيافة للغيرب والقريب ، ومنها الأفتخار
بشدة البأس ، وعزة النفس ، وإبائة الضيم ، والولوع بالأشعار
لأنها ديوآن العرب وبالجم والامثال ، ومنها الحلم والفصاحة
والغلو في حفظ الشرف ومكانة النفس .

وأما لغتهم فكانت من أعز الأشياء لديهم ، حتى أنهم
كانوا يأنفون من مخالطة غير العرب حفظاً لها من العجمة .
ومن عاداتهم السيئة دفن البنات وهن أحياء خشية العار ،
وقتل الأولاد خشية الفقر ، والغلو في أخذ النار ، حتى إنهم
كانوا يشنون الحرب التي ترهق فيها النفوس الكثيرة في سبيل
أخذ نار رجل منهم ، ومنها المنازرة بالألقاب (والنبر هو
اللقب المستهجن القبيح) ومنها التبذ (وهو أن يجعل الولد
غير الحقيقي بمنزلة الأبن الحقيقي يرث ويورث) ومنها عبادة
غير الله ، وكانت عبادتهم على أنواع مختلفة ولهم آلهة وأصنام
كثيرة كاللات والعزى وهبل ونسر وسواع ويعوث ويعوق
وغير ذلك ، وكان منهم من يعبد النجوم كالشمس والقمر

وَعُطَّارِدُوا الْمُشْتَرَى وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَمَنْ ذَلِكَ أَسْمَاؤُهُمْ كَعَبْدِ الْعُزْرِ
وَعَبْدِ يَغُوثَ وَعَبْدِ شَمْسٍ وَنَحْوِهَا ، وَكَانَ فِي بِلَادِهِمْ كَثِيرٌ مِمَّنْ
النَّصَارَى وَالْيَهُودِ وَالْمَجُوسِ .

وَكَانُوا قَبْلًا مُوَحِّدِينَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ
وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، ثُمَّ اتَّخَذُوا الْأَصْنَامَ لَتَكُونَ وَاسِطَةً
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ بَزَعْمِهِمْ إِلَى أَنْ عَبَدُوهَا وَقَدَّمُوا لَهَا الْقَرَابِينَ .
وَذَبَحُوا الذَّبَائِحَ عَلَى أَسْمَائِهَا .

فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ الْجَهْلِ وَالسُّكْفْرِ وَعِبَادَةِ
غَيْرِ اللَّهِ أَرْسَلَ لَهُمْ رَسُولَهُ الْمُصْطَفَى وَنَبِيَّهُ الْمُرْتَضَى ، فَأَرْجَعَهُمْ
إِلَى الشَّرِيعَةِ الْحَقِّ شَرِيعَةِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَالْأَنْبِيَاءِ مِنْ
قَبْلِهِمْ فَهَدَاهُمْ بَعْدَ الضَّلَالِ وَأَرَشَدَهُمْ بَعْدَ الْحَيْرَةِ .

تقيد

اعلمَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ وَلَمْ يَتْرُكْهُمْ سُدىً يَمِيلُونَ مَعَ
أَهْوَاءِهِمْ كَيْفَ شَاءَتْ ، بَلْ رَبَطَهُمْ بِنِظَامِ الْحِكْمَةِ وَرَابِطَةِ
النَّبُوَّةِ ، فَكَانَ يُرْسَلُ إِلَى كُلِّ قَوْمٍ رَسُولٌ يُرْشِدُهُمْ وَهَادِيًا
يُعِظُهُمْ ، وَكَانَتِ الْأُمَّةُ الْعَرَبِيَّةُ مُقْتَفِيَةً شَرِيعَةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ ، وَلَكِنْ لَمَّا طَالَ الْعَهْدُ بِهَا غَيَّرُوهَا وَبَدَّلُوهَا ، وَأَخْتَرَعُوا
أَشْيَاءً أَضَافُوهَا إِلَيْهَا كَمَا زَيَّنَتْهُ لَهُمْ عُقُولُهُمُ السَّقِيمَةُ ، فَصَارُوا
أُمَّةً وَثْنِيَّةً بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُوَحَّدَةً ، وَكَثُرَ فِيهِمُ الْفُجُورُ وَالْفِسْقُ
وَالْقَتْلُ وَالْخُرُوجُ عَنِ دَائِرَةِ الْمَدِينَةِ وَالدِّينِ ، فَلَمَّا اسْتَحْكَمَ
الْجَهْلُ فِيهِمْ ، وَضَرَبَ أَطْنَابَهُ فِي قُلُوبِهِمْ ، كَانَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِهِمْ
أَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ ، يُرْشِدُهُمْ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَالسَّبِيلِ الْوَاضِعَةِ
وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ وَأَيَّدَهُ بِقُوَّتِهِ وَسُلْطَانِهِ ، فَهَدَى النَّاسَ
بَعْدَ مَا ضَلُّوا وَعَلَّمَهُمْ بَعْدَ مَا جَهِلُوا ، فَحَسُنَتْ أَعْوَالُهُمْ ، وَأَسْتَقَامَتْ
أَفْكَارُهُمْ ، وَقَدْ قَاسَى مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الشَّدَائِدَ ، وَتَحَمَّلَ مِنْ

المشقات والمتاعب في سبيل الدعوة والنصيحة والهداية مالا
تقدر عليه الجبال الراسيات ، والأعلام الشامخات ، ولكن
بالنظر لما عهد فيه عليه السلام من القوة والذشاط ، والثبات أمام
العقبات ، والمثابرة على الأعمال التي يكون منها النجاح ، قام
بالدعوة خير قيام ، ورخص نهوضاً لم يعهد مثله في سائر رسل
الله الكرام ، صلوات الله عليهم أجمعين .

كيف قام الدين الاسلامي ؟

مما يجدر بالذكر أمر لا بد من التنبيه عليه ، وهو مسألة
« هل قام الدين بالدعوة أو بالسيف » فقد ركز في بعض
الأذهان أنه لم يقم إلا بالسيف ، ولكن الأمر بعكس ما يظنون
لأن الدين أمر وجدان يساق إليه الانسان بجأدى العقل عند
الدعوة إليه فتدعن إليه النفس ، فإن أُجبر الانسان على ذلك
فكيف يكون عنده هذا الأذعان ؟

والحق الذي لا محيد عنه أن الدين إنما قام بالدعوة ، والدعوة
حياة الأديان ، ومن يرجع إلى نصوص القرآن المجيد وما صح
من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم يتضح له الأمر وتتجل

له الحقيقة : هل كان الرسولُ يُعْمَلُ السَّيْفَ فِي رِقَابِ قُرَيْشٍ
عند ما كانت تُؤذيه في مكة بِضُرُوبٍ مِنَ الْأَعْمَالِ الْمُنْكَرَةِ
لو نزلت بالجبال لُدَّتْ؟ هل أجبر الأَنْصارَ أهلَ المدينةِ
على اعتناق الدين؟ أم دَعَاهُمْ فَأَتَوْهُ مُذْعِنِينَ؟ ثم هاجر اليهم
هَرَبًا مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ لَمَّا هُمُوهَا بِقَتْلِهِ . هل هل؟؟ كلاً والله
كل ذلك لم يكن . والرسولُ إنما قاتلهم دفاعاً عن نفسه وعن
المسلمين ورداً لِعُدْوَانِهِمْ ، وَحِمَايَةَ الدِّعْوَةِ مِنْ مُعَارَضِيهَا لَيْسَ
إِلَّا . يَدُلُّكَ عَلَى ذَلِكَ عَدَمُ قِتَالِهِ إِلَّا مَنْ قَاتَلَهُ أَوْ أَعْتَدَى عَلَى
المسلمين . فهل مثل ذلك يُعَدُّ خَطَأً فِي شِرْعَةِ الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ
وهل يُقَالُ إِنَّ الدِّينَ قَامَ بِالسَّيْفِ لِأَجْلِ مَا ذَكَرْنَا؟ لِهَذَا أُحْبِبْتُ
أَنْ أَذْكَرُ عِنْدَ كُلِّ غَزْوَةٍ السَّبَبَ الَّذِي دَعَا الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهَا .

نَسَبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

هُوَ سَيِّدُنَا أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
ابْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ
ابْنِ أُوَيٍّْ بْنِ غَالِبٍ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خَزِيمَةَ
ابْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارٍ بْنِ مَعَدٍّ بْنِ عَدْنَانَ
هَذَا هُوَ النَّسَبُ الْمَتَّفَقُ عَلَى صِحَّتِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ
وَالتَّارِيخِ ، أَمَّا النَّسَبُ فَوْقَ ذَلِكَ فَلَا يَصِحُّ فِيهِ طَرِيقٌ وَغَايَةُ
الْأَمْرِ أَنَّهُمْ أَتَجَمَعُوا عَلَى أَنَّ نَسَبَ الرَّسُولِ يَنْتَهِي إِلَى إِسْمَاعِيلَ
ابْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

فَهَذَا نَسَبُهُ مِنْ جِهَةِ أَبِيهِ . وَأَمَّا نَسَبُهُ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ فَهُوَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مُحَمَّدُ بْنُ أَمِينَةَ بِنْتِ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ
ابْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ ، فَتَجَمَعُ مَعَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي جَدِّهِ كِلَابِ

أَدْوَارُ حَيَاةِ الرَّسُولِ

وَأَدْوَارُ حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةٌ : مِنْ وِلَادَتِهِ إِلَى
النَّبُوَّةِ وَمِنْ النَّبُوَّةِ إِلَى الْهِجْرَةِ ، وَمِنْ الْهِجْرَةِ إِلَى وَفَاتِهِ

الدور الاول من حياته

ويبتدىء من حملها الى النبوة

كان عبد الله بن عبد المطلب أبو الرسول الأعظم من أحبّ ولد أبيه إليه ، ولما بلغ عمره ثمانى عشرة سنة تزوجته أمينة بنت وهب ، فحملت منه برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يلبث أبوه أن توفي وهو حامل به أو بعد وضعه بشهرين ، وكانت ولادته يوم الإثنين فى الثانى عشر من ربيع الاول عام الفيل^(١) ، حين طلوع الفجر ، وهو وقت البركة كما قال عليه السلام « بُورِكَ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا » وكانت ولادته فى زمن الملك العادل كبرى أنوشروان ملك فارس .

ولم يترك له والدته من المال إلا خمس جمال وبعض نجاج وجارية ، ويروى أقل من ذلك ، وأرضعته حليلة السعدية ، وذلك انه كان من عادة العرب أن يلتمسوا المراضع لمواليهم

(١) فى السنة التى جاء فيها الفيل الى مكة ، وذلك ان ملكا من ملوك الحبشة جهز جيشا على مكة لهدم الكعبة وكان فى ذلك الجيش فيل عظيم لكن رى الله كيدته فى نحره وجعل كيدته فى تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل « اى فرق وجماعات » ترميهم بحجارة من سجيل « اى طين متحجر » فجعلهم كصف مأكول « اى كورق زرع » اكلته الدواب او الدود ، اى اهلكهم وابادهم : ويوافق مولده عليه السلام (٢٠) نيسان « ابريل » سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام

فِي الْبُوَادِي لِيَكُونَ أَنْجَبَ لِلوَلَدِ ، فَجَاءَتْ نِسْوَةٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ
ابْنِ بَكْرِ يَطْلُبِينَ أَطْفَالَاً يُرْضِعُهُنَّ ، فَكَانَ الرَّضِيعُ الْمُحْمُودُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَصِيبِ حَلِيمَةَ بِنْتِ أَبِي ذُوَيْبِ السَّعْدِيَّةِ ،
وَأَسْمُ زَوْجِهَا أَبُو كَبِشَةَ ، فَدَرَّتِ الْبَرَكَاتُ عَلَى أَهْلِ ذَلِكَ الْبَيْتِ
الَّذِينَ أَرْضِعُوهُ مُدَّةً وَجُودِهِ يَنْهَسُ ، وَكَانَتْ تَزِيدُ عَلَى أَرْبَعِ
سِنَوَاتٍ .

وَفِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنْ عَمْرِهِ أَخْرَجَتْهُ أُمُّهُ إِلَى أَخْوَالِهِ
بِالْمَدِينَةِ فَتُوفِّيَتْ بِالْأَبْوَاءِ ^(١) فَحَضَنَتْهُ أُمُّ أَيْمَنَ وَكَفَلَتْهُ جَدُّهُ
عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَرَقَّ لَهُ رِقَّةً لَمْ تُعْمَدْ لَهُ فِي وَلَدِهِ لِمَا كَانَ يَظْهَرُ
عَلَيْهِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَهُ شَأْنًا عَظِيمًا فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وَبَعْدَ
سِنَتَيْنِ مِنْ كِفَالَتِهِ تُوُفِّيَ جَدُّهُ ، فَكَفَلَتْهُ عَمَّةُ أَبِي طَالِبٍ (وَكَانَ
شَهْمًا كَرِيمًا غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْفَقْرِ بِحَيْثُ لَا يَمْلِكُ كِفَافَ أَهْلِهِ)
وَفِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ سَافَرَ إِلَى الشَّامِ السَّفْرَةَ الْأُولَى مَعَ عَمَّةِ
أَبِي طَالِبٍ ، وَقَدْ اجْتَمَعَ رِجَالُ الْقَافِلَةِ وَهُمْ بِقُرْبِ بَصْرَى
بِالرَّاهِبِ بِحَيْرَى فَأَخْبَرَهُمْ عَنْ ظُهُورِ نَبِيٍِّّ مِنَ الْعَرَبِ فِي هَذَا
الزَّمَانِ ، كَمَا عَرَفَ ذَلِكَ فِي كُتُبِهِمُ الْمُقَدَّسَةِ ، فَقَالُوا إِنَّهُ لَمْ يَظْهَرِ

(١) قرية بين مكة والمدينة وهي الى المدينة أقرب

إلى الآن ، وفي سنة عشرين حضر حرب الفجار ، وهي حرب كانت بين قريش وحلفائها وبين قيس وحلفائها في موضع بين مكة والطائف يسمى « نخلة » وكادت الدائرة تدور على قيس لولا أن حصل الصلح بينهما

وفي سنة خمس وعشرين سافر إلى الشام المرة الثانية بتجارة لخديجة بنت خويلد ، وكانت تستأجر الرجال في مالها وقد اختارته لهذا العمل لما سمعت عنه من الأمانة والصدق وغيرهما من الصفات الجميلة التي جبل عليها منذ حداثة حتى سماه قومه الأمين ، وسافر معه ميسرة غلامها فباعا وأبتاعا وربحاً ربحاً جسيماً

وفيه تزوج بخديجة بعد رجوعه من الشام بشهرين ، وهي التي خطبته لنفسها ، ولها من العمر إذ ذاك أربعون سنة . وفي سنة خمس وثلاثين جاء سيل جارف فصدع جذران الكعبة بعد توهمين من حريق كان قد أصابها ، فعزمت قريش على هدمها وبنائها ، وقد شهد الرسول ببناءها وعمل فيها .

وقد جعلوا ما يُنفق عليها من الأموال طاهراً ليس فيه

رَبًّا وَلَا مَهْرًا بَغْيًا ، وَجَعَلَ الْأَثْرَافُ مِنْ قُرَيْشٍ يَحْمِلُونَ
الْحِجَارَةَ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ ، وَكَانَ الرَّسُولُ وَعَمَّهُ الْعَبَّاسُ فَيَمُنُ يَحْمِلُ
وَكَانَ الرَّسُولُ مُؤْتَرًّا ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ : أَجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى
عَاتِقِكَ فَوْقَ عُنُقِكَ ، فَفَعَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ ، فَبَدَتْ سَوَآتُهُ
فَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ فَضَمَّهُ عَمَّهُ إِلَيْهِ ، وَقَالَ مَا الَّذِي أَصَابَكَ ؟ قَالَ :
سَمِعْتُ صَوْتًا شَدِيدًا أَنْ شُدَّ عَلَيْكَ إِزَارَكَ ، وَرَضِيَتْ قُرَيْشُ
بِحُكْمِهِ عِنْدَ اخْتِلَافِهِمْ فَيَمُنُ يَضَعُ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ حَتَّى كَادُوا
يَقْتَتِلُونَ لَذَلِكَ ، فَفَصَلَ هَذَا الْمَشْكَلَ الْعَظِيمَ الرَّسُولُ الْأَعْظَمُ ،
فَإِنَّهُ يَسْطُرُ رَدَاءَهُ ، وَقَالَ لِيَأْخُذْ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ التَّوْبِ ،
ثُمَّ وَضَعَ الْحَجَرَ فِيهِ وَأَمَرَهُمْ بِرَفْعِهِ حَتَّى أَنْتَهَوْا إِلَى مَوْضِعِهِ فَأَخَذَهُ
الرَّسُولُ وَوَضَعَهُ فِيهِ .

وَلَمَّا كَانَ لَهُ أَرْبَعُونَ مِنْ عَمْرِهِ أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِالنَّبِوَّةِ

بِالرَّسَالَةِ .

شذرة من معيشته قبل النبوة

«لَمْ يَقُمْ عَلَى تَرْبِيَّتِهِ مُهْتَدِبٌ وَلَمْ يُعْنِ^(١) بِهِ مُوَدَّبٌ مِمَّنْ بَيْنَ
أَنْزَابِ^(٢) مَنْ نَبَتِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَعُشْرَاءَ مِنْ حُلَفَاءِ الْوَثْنِيَّةِ ،
وَأَوْلِيَاءَ مِنْ عِبْدَةِ الْأَوْهَامِ ، وَأَقْرَبَاءَ مِنْ حَفَدَةِ^(٣) الْأَصْنَامِ ،
غَيْرَ أَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ كَانَ يَنْمُو وَيَتَكَمَّلُ بَدَنًا وَعَقْلًا وَفَضِيلَةً وَأَدَبًا
حَتَّى عُرِفَ بَيْنَ أَهْلِ مَكَّةَ وَهُوَ فِي رَيْعَانٍ^(٤) شَبَابِهِ بِالْأَمِينِ ،
أَدَبٌ إلهيٌّ لَمْ يَجْرِ الْعَادَةُ بِأَنَّ تَرْبِيَّتَهُ بِهِنَّ نَفُوسُ الْإِيْتَامِ مِنَ
الْفُقَرَاءِ ، خُصُوصًا مَعَ فَقْرِ الْقَوْمِ ، فَأَكْتَهَلَ^(٥) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ كَامِلًا وَالنَّاسُ نَاقِصُونَ ، رَفِيعًا وَالنَّاسُ مُنْحَطُونَ ،
مَوْحِدًا وَهُمْ وَثْنِيُونَ ، سَلْمًا^(٦) وَهُمْ شَاغِبُونَ^(٧) ، صَحِيحَ
الْإِعْتِقَادِ وَهُمْ وَاهِمُونَ ، مَطْبُوعًا عَلَى الْخَيْرِ وَهُمْ بِهِنَّ جَاهِلُونَ ،
وَعَنْ سَبِيلِهِ عَادِلُونَ^(٨)»

رَبِّي بَيْنَ قَوْمٍ قَدْ أَعْتَادُوا الْفُجُورَ وَالْفِسْقَ وَسَفَكَ الدِّمَاءَ
وغير ذلك من قبائح الأشياء ، ومع ذلك كان لا يميل إلى

(١) أي لم يبتن (٢) أي نابتة مماثلين له في سنه : والمراد بالنبت الابناء
(٣) الخدمة الخدم والاعوان (٤) أي اول (٥) أي جاوز الثلاثين من عمره
(٦) أي مسالما (٧) مهيجون للشروع (٨) نقات هذه الشذرة من اولها الى
هنا من رسالة التوحيد لشيخنا الاستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار
المصرية .

مَا يَمِيلُونَ ، وَلَا يَعْبُدُ مَا يَعْبُدُونَ ، وَلَا يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُونَ ،
فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحْسَنَهُمْ أَخْلَاقًا ، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا ،
وَأَعْظَمَهُمْ أَمَانَةً ، وَقَدْ حَفِظَهُ اللَّهُ مِنْذُ صِغَرِهِ مِنْ كُلِّ أَعْمَالِ
الْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي جَاءَ شَرْعُهُ الشَّرِيفُ بِضِدِّهَا ، وَفِي الْجُمْلَةِ فَقَدْ خُلِقَ
مَفْطُورًا عَلَى مَحَاسِنِ الْأَفْعَالِ ، مَطْبُوعًا عَلَى جَيَادِ الْأَعْمَالِ .

نَشَأَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ
عَلَى الْأَسْتِغْنَاءِ عَنِ الْكَسْبِ ، فَلِذَلِكَ لَمَّا بَلَغَ مَبْلَغًا يُمَكِّنُهُ أَنْ
يَعْمَلَ عَمَلًا كَانَ يَرْعَى النِّعَمَ مَعَ إِخْوَتِهِ مِنَ الرِّضَاعِ فِي الْبَادِيَةِ ،
وَكَذَلِكَ لَمَّا رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ كَانَ يَرْعَاهَا لِأَهْلِهَا عَلَى قَرَارِيضَ^(١)
عَلَى أَنَّهُ لَوْ أَرَادَ الْمَالَ وَكَثْرَتَهُ ، وَأَدَّخَرَهُ لَكَانَ لَهُ ذَلِكَ ،
خُصُوصًا بَعْدَ أَنْ اسْتَأْجَرَتْهُ خَدِيجَةُ وَاخْتَارَتْهُ أَنْ يَكُونَ
زَوْجَهَا « وَكَانَ فِيمَا يَجْتَنِيهِ^(٢) مِنْ ثَمَرَةِ عَمَلِهِ غِنَاءٌ^(٣) لَهُ وَعَوْنٌ^(٤)
عَلَى بُلُوغِهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَعْظَمُ قَوْمِهِ ، لَكِنَّهُ لَمْ تَرَوْهُ^(٥) الدُّنْيَا
وَلَمْ تَعْرِوهُ زَخَارِفُهَا ، وَلَمْ يَسْلُكْ مَا كَانَ يَسْلُكُهُ مِثْلُهُ فِي الْوُصُولِ
إِلَى مَا تَرَوْنَهُ إِلَّا نَفْسٌ مِنْ نَعِيمِهَا ، بَلْ كَلِمًا تَقْدَمُ بِهِ السَّنُّ
زَادَتْ فِيهِ الرَّغْبَةُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ الْكِفَاةُ ، وَنَمَّا^(٦) فِيهِ حُبُّ

(١) واحدها قيراط وهو نصف دانق والدانق سدس الدرهم (٢) أى يكسبه

(٣) أى فائدة (٤) أى اطاعة (٥) أى لم تعجبه (٦) أى زاد

الْأَنْفِرَادِ وَالْأَنْقِطَاعِ إِلَى الْفِكْرِ وَالْمُرَاقِبَةِ^(١) وَالتَّحَنُّتِ^(٢)
بِمُنَاجَاةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالتَّوَسُّلِ إِلَيْهِ فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ مِنْ
هَمِّهِ الْأَعْظَمِ فِي تَخْلِيصِ قَوْمِهِ ، وَنَجَاةِ الْعَالَمِ مِنَ الشَّرِّ الَّذِي
تَوَلَّاهُ^(٣) « وَثَابَرَ عَلَى ذَلِكَ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ إِلَى أَنْ أُكْرِمَهُ اللَّهُ
بِالنَّبُوَّةِ .

(١) الخشية والخوف من الله (٢) التعمد (٣) وهذه العبارة الموضوعة بين
خوسين منقولة أيضا عن رسالة التوحيد

الدور الثاني من حياته

ويبتدىء من زمن النبوة الى الهجرة

لَمَّا أَحَبَّ الرَّسُولُ الْأَنْقِطَاعَ عَنِ النَّاسِ وَتَفَرَّغَ لِلتَّعْبُدِ
وَالْمُرَاقَبَةِ كَانَ أَوَّلَ مَا فَتَحَ لَهُ مِنَ الْأَشْأَرِ وَالذَّلَالَاتِ هُوَ
مَا كَانَ يَرَاهُ مِنَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ الصَّادِقَةِ ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا
إِلَّا جَاءَتْ كَمَا رَأَى ، وَقَدْ اخْتَارَ لِعِزَّتِهِ غَارَ حِرَاءَ ، فَكَانَ يَتَعَبَّدُ
فِيهِ لَيَالِيَ مَعْلُومَةً . فَتَارَةً عَشْرًا وَتَارَةً أَكْثَرَ ، وَكَانَ يَأْخُذُ
لِذَلِكَ الزَّادَ ، وَمَتَى فَرَّغَ مِنْهُ رَجَعَ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا .

وَلَمَّا بَلَغَ عَمْرُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْبَعِينَ سَنَةً « أَنْفَتَقَ لَهُ الْحِجَابُ
عَنْ عَالَمٍ كَانَ يَحْتَمُّهُ إِلَيْهِ الْإِلْهَامُ الْإِلَهِيُّ ، وَتَجَلَّى عَلَيْهِ النُّورُ الْقُدْسِيُّ
وَهَبَّطَ لَهُ الْوَحْيُ مِنَ الْمَقَامِ الْعَلِيِّ » وَأَخْتَارَهُ اللَّهُ لِرِسَالَتِهِ ،
وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحَ الْأَمِينَ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ ^(١) لِيُعَلِّمَهُ كَيْفَ
يَهْدِي قَوْمَهُ وَالنَّاسَ أَجْمَعِينَ ، فَصَدَعَ بِمَا أَمَرَ ، وَبَلَغَ مَا أَنْزَلَ
إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ، وَكَانَتْ الدَّعْوَةُ سِرًّا ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ مِنْ
الرِّجَالِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ قُحَافَةَ ^(٢) ، وَمِنْ النِّسَاءِ زَوْجَتُهُ خَدِيجَةُ ،

(١) حِرَاءُ هُوَ جَبَلٌ بِمَكَّةَ فِيهِ الْغَارُ الَّذِي أَعَدَّهُ الرَّسُولُ لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَالْإِعْتِزَالِ عَنِ
النَّاسِ لِأَمْرِهِ (٢) اسْمُ ابْنِ قُحَافَةَ عَثْمَانُ

ومن الصّديّان عليّ بن أبي طالبٍ ، ولم يَسْجُدْ لِصَنَمٍ قَطً ،
ولهذا يُقالُ كَرَّمَ اللهُ وجهَهُ ، وقد أجابَ الدَّعْوَةَ كَثِيرٌ من
الأشْرافِ والموالي كعثمان بن عفان والزبير بن العوامِ ،
وعبدِ الرَّحْمَنِ بنِ عوفٍ ، وصهيبِ الرُّومِيِّ ، وعمّارِ بنِ ياسِرٍ
العَبَسِيِّ ، وعبدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ ، وأبي ذرِّ الغفَّاريِّ ، وعُبَيْدَةَ
ابنِ الحارثِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ ابنِ عمِّ الرُّسُولِ ، وعثمان بن
مَظْعُونٍ وكثيرٍ غيرِهِمْ .

هذا ولم يكن مع الرُّسُولِ سَيْفٌ يَضْرِبُ بِهِ أَعْنَاقَهُمْ
حتى يُطِيعُوهُ صاغِرِينَ ، وليسَ معه ما يُرَغَّبُ فِيهِ حتى يَتْرَكَ
هُوَ لِأَءِ الْعُظَمَاءِ آباءَهُمْ ، ذُونَ أَنْ يَعْباؤا بما عندهم من الثَّرْوَةِ
الوَافِرَةِ وَيَتَّبِعُوا هَذَا الرُّسُولَ وَيَتَحَمَّلُوا إِهَانَةَ أَهْلِيهِمْ وَتَعَذِيبَهُمْ
لَهُمْ حَتَّى أَنْ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ كَانَ وَاسِعَ الثَّرْوَةِ أَكْثَرِ مِنْهُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ كَأَبِي بَكْرٍ وَعُثْمَانَ وَخَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ وَغَيْرِهِمْ ، وَالَّذِينَ
اتَّبَعُوهُ مِنَ الْمَوَالِي اخْتَارُوا الْأَذَى وَالْجُوعَ وَالْمَشَقَّاتِ ، وَلَمْ
يَرْجِعُوا إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ وَسَادَاتِهِمْ ، وَلَوْ اتَّبَعُوا سَادَاتِهِمْ لَكَانُوا
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَهْنَاءً بِالْأَنْعَمِ عَيْشَةً ، وَلَكِنَّ الدِّينَ الْحَقَّ ،
مَا حَلَّ فِي قَآبٍ وَلَا سَطَعَ عَلَى عَقْلِ إِلَّا فَضَّلَهُ عَلَى كُلِّ مَا سِوَاهُ ،

فترة الوحي

وَقَدْ انْقَطَعَ الْوَحْيُ مُدَّةً لَمْ يَنْتَفِقْ عَلَيْهَا الْمُرْسَلُونَ ،
وَأَرْجَحُ أَقْوَالَهُمْ فِيهَا أَنَّهَا أَرْبَعُونَ يَوْمًا ، وَالْحِكْمَةُ مِنْ فِتْرَةِ
الْوَحْيِ هَذِهِ الْمُدَّةُ أَنْ يَشْتَدَّ شَوْقُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ فَيَكُونُ
اسْتِعْدَادُهُ لِتَلْقَائِهِ أَكْثَرَ ، وَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، فَقَدْ زَادَ
هَيَامُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْوَحْيِ وَأَشْتِيَاقُهُ إِلَيْهِ وَزَادَ قَلْقَهُ خَوْفًا مِنْ
قَطِيعَةِ اللَّهِ لَهُ بَعْدَ أَنْ أَرَاهُ نِعْمَتَهُ الْكُبْرَى ، وَهِيَ اخْتِيَارُهُ لِأَنَّ
يَكُونُ وَاسِطَةً لِهِدَايَةِ خَلْقِهِ .

ثُمَّ تَتَابَعَ تَزْوُلُ الْوَحْيِ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
وَكَانَ أَوَّلَ مَا عَلَّمَهُ جِبْرِيلُ مَلَكُ الْوَحْيِ مِنَ الْآيَاتِ قَوْلُهُ
تَعَالَى : « اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ
عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ »

الدعوة سرا ثم جهرا

وَكَانَتْ الدَّعْوَةُ سِرًّا حَذْرًا مِنْ مُفَاجِئَةِ النَّاسِ بِأَمْرِ غَرِيبٍ .
ثُمَّ أَمَرَهُ اللَّهُ بِالْجَهْرِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « فَأُصَدِّعْ بِمَا تُوْفِّرُ وَأَعْرِضْ

عَنِ الْمُشْرِكِينَ « فَلَبَّى دَاعِيَ اللَّهِ ، وَخَاضَ ^(١) غَمْرَاتِ ^(٢) الدَّعْوَةِ
وَسَلَكَ مَفَاوِزَ ^(٣) النَّصِيحَةِ ، وَأَقْتَحَمَ مَيْدَانَ الْإِرْشَادِ ، وَدَعَا
النَّاسَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَعِبَادَتِهِ وَحَدُّهُ ، وَأَنْ يَتْرُكُوا مَا كَانَ عَلَيْهِ
آبَاؤُهُمْ مِنَ الشِّرْكِ وَالْكَفْرِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَدُعَاءِ الْأَصْنَامِ ،
وَأَمْرَهُمْ بِتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ ، وَهَجْرِ الْمُحْرَمَاتِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى
وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ

وقد لاقى من أجل ذلك أذى عظيماً من قومه كالرَّمى
بالْحِجَارَةِ وَرَمَى الْقَدْرَ عَلَى بَابِهِ وَعَزَمَهُمْ عَلَى خَنْقِهِ وَقَتْلِهِ ، إِلَى غَيْرِ
ذَلِكَ مِمَّا يَحْمُرُهُ وَجْهُ الْإِنْسَانِيَّةِ خَجَلًا ، وَكَانَ يَشْتَدُّ أَذَاهُمْ لَهُ
إِذَا ذَهَبَ إِلَى الصَّلَاةِ عِنْدَ الْبَيْتِ ، وَقَدْ اسْتَمَرُّوا عَلَى أَذَاهُ
وَاسْتَمَرَّ عَلَى الصَّبْرِ ، إِلَى أَنْ صَرَخَ الْحَقُّ الْبَاطِلَ « إِنَّ الْبَاطِلَ
كَانَ زَهُوقًا »

السنة الخامسة من النبوة فإبعدها

وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ النَّبُوءَةِ أَمَرَ الرَّسُولُ أَصْحَابَهُ
بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَذَى لَمْ يَكُنْ قَاصِرًا عَلَى الرَّسُولِ

(١) أى اقتحم (٢) أى شتد (٣) مهالك وهى جمع مفازة

بَلْ تَنَاولَ أَصْحَابَهُ لِاتِّبَاعِهِمْ إِيَّاهُ ، خُصُوصًا مَنْ لَيْسَ لَهُ
عَشِيرَةٌ تَحْمِيهِ أَوْ قَبِيلَةٌ تُرَدُّ عَنْهُ كَيْدَ أَعْدَائِهِ ، فَهَاجَرَ نَاسٌ مِنْهُمْ
فِرَارًا بِدِينِهِمْ ، وَهِيَ أَوَّلُ هِجْرَةٍ مِنْ مَكَّةَ ، وَعِدَّةُ أَصْحَابِهَا
عَشْرَةُ رِجَالٍ وَخَمْسُ نِسْوَةٍ ، ثُمَّ رَجَعُوا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ، وَفِي
ذَلِكَ الْوَقْتِ أَسْلَمَ حَمِزَةُ عُمُ الرِّسُولِ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ ذَاكَ بِضِعَّةٍ وَأَرْبَعِينَ رَجُلًا
وَإِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً .

وَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ كَانَ دُخُولُ النَّبِيِّ الشَّعْبَ مَعَ عَمِّهِ
أَبِي طَالِبٍ وَبَنِي هَاشِمٍ وَالْمُطَلِّبِ مُسَامِهِمْ وَكَافِرِهِمْ مَاعِدًا أَبَالْهَبِ
وَذَلِكَ عِنْدَ مَا هَمَّتْ قُرَيْشٌ بِقَتْلِهِ لَمَّا رَأَوْهُ أَنَّ أَمْرَهُ فِي الْأَزْدِيَّادِ
وَأَنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ فَشَا وَأَنْتَشَرَ فِي الْقَبَائِلِ ، فَلَمَّا عَلِمَتْ قُرَيْشٌ
بِدُخُولِهِمْ الشَّعْبَ أَجْمَعُوا عَلَى مُنَابَذَتِهِمْ ، وَأَنْ لَا يَقْبَلُوا لَهُمْ
صَلْحًا أَبَدًا ، وَقَطَعُوا عَنْهُمْ الْأَسْوَاقَ وَمَنَعُوهُمْ الرِّزْقَ إِلَّا أَنْ
يَسْلَمُوا مُحَمَّدًا لِلْقَتْلِ ، وَكَتَبُوا بِذَلِكَ صَحِيفَةً تَتَضَمَّنُ التَّضْيِيقَ
عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَعَلَّقُوهَا فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ

وَبَعْدَ دُخُولِ الرِّسُولِ شِعْبَ أَبِي طَالِبٍ أَمَرَ أَصْحَابَهُ
بِالهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ وَهِيَ الْهِجْرَةُ الثَّانِيَةُ ، وَعِدَّةُ أَصْحَابِهَا نَحْوُ

ثلاثة وثمانين رجلاً وثمانى عشرة امرأة ، وتوجه إليهم الذين
أسلموا من جهة اليمن وهم الأشعريون أبو موسى وقومه .

فأما رأت قریش استقرار المهاجرين فى الحبشة أرسلوا
إلى ملكها النجاشى عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة
بهدايا وتحف من بلادهم وأتمسوا منه أن يرد من هاجر إلى
بلاد من المسلمين ، فأبى ذلك وردهما خائبين ، ثم أسلم النجاشى
ومن معه من القيسيين والرهبان سنة سبع من الهجرة لما
سمعوا سورة مريم ، فأنزل الله فى حقهم « اتجدن أشد الناس
موادة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم
قيسيين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون » ثم مات النجاشى
مساماً وصلى عليه رسول الله لما أعلمه جبريل بوفاة ، وهذه هى
أصل صلاة الجنائز على الغائب كما فى صحيح البخارى .

وفى السنة العاشرة قام رجال من قریش بنقض الصحيفة
فخرج الرسول ومن معه بعد أن مكثوا فى الشعب قريباً من
ثلاث سنوات فى شدة الجهد والجوع لا يصل إليهم شئ إلا
سيراً ، حتى إنهم أكلوا أوراق الشجر ، وكان الرسول قد أخبر

أَنَّ الْأَرْضَةَ^(١) أَكَلَتْ مَا فِي الصَّحِيفَةِ مِنَ الْكِتَابَةِ إِلَّا أَسْمَاءَ
اللَّهِ ، فَلَمَّا أَنْزَلُوهَا لِيُعَزِّقُوهَا وَجَدُوهَا كَمَا أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا بَغِيًّا وَعُتُوًّا .

وَفِيهَا وَفَدَّ عَلَيْهِ وَفَدَّ مِنْ نَصَارَى نَجْرَانَ فَأَسَامُوا .

وَفِيهَا تُوفِّيَتْ خَدِيجَةُ زَوْجُ الرَّسُولِ ، وَبَعْدَ وَفَاتِهَا بِنَحْوِ
شَهْرَيْنِ تُوُفِّيَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ سَبْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً ،
وَكَانَ يَدْرَأُ عَنْهُ الْأَعْدَاءَ ، وَيُدْفَعُ عَنْهُ الْأَلِدَاءَ ، وَيَمْنَعُهُ مِمَّنْ يُرِيدُ
أَذَاهُ ، وَمَعَ أَنَّهُ كَانَ يُصَدِّقُ الرَّسُولَ فِيمَا جَاءَ بِهِ وَيَعْتَقِدُ صِدْقَهُ
بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ لَمْ يَنْطِقْ بِالشَّهَادَتَيْنِ حَتَّى آخِرِ لِحْظَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ
خَوْفًا مِنْ تَعْيِيرِ قَوْمِهِ إِيَّاهُ ، وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ جَمَعَ وَجُوهَ
قُرَيْشٍ وَأَشْرَافِهِمْ وَأَوْصَاهُمْ بِالنَّبِيِّ خَيْرًا وَأَنْ يَكُونُوا مِنْ أَنْصَارِهِ
وَأَعْوَانِهِ ، وَمِنْ مُجْمَلَةِ مَا قَالَهُ : « وَقَدْ جَاءَكُمْ بِأَدْرِ قَبِيلَةِ الْجَنَانِ ،
وَأَنْكَرَهُ اللِّسَانُ ، مَخَافَةَ الشَّنَانِ^(٢) »

وَبَعْدَ وَفَاتِهِ نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنَ الرَّسُولِ مَا لَمْ تَقْدِرْ عَلَى نَيْلِهِ
فِي حَيَاةِ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَشْتَدَّ أَذَاهُمْ لَهُ وَتَعَصَّبَتْهُمْ عَلَيْهِ .

(١) الارضة هي دويبة تأكل الخشب والورق يقال أرضت الحشبة بالمجهول تؤرض
أرضاً يسكون الرأء فهي مأروضة اذا أكلتها الارضة (٢) أى البغض أى أنكرا
رسالته بالسنننا مخافة أن نبغض الى قومنا ونسير بذلك

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ هَاجَرَ إِلَى الطَّائِفِ فَإِنَّ فِيهِ بَنِي تَقِيفٍ
لِيُعِينُوهُ عَلَى قَوْمِهِ ، وَيُسَاعِدُوهُ حَتَّى يُتِمَّ أَمْرَ رَبِّهِ ، وَكَانَ مَعَهُ
زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، فَأَقَامَ بِالطَّائِفِ شَهْرًا يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَلَمْ
يُجِيبُوا ، بَلْ رَدُّوا عَلَيْهِ رَدًّا قَبِيحًا وَأَغْرَوْا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ
وَعَبِيدَهُمْ يَسُبُّونَهُ ، وَرَمَوْا عِرَاقِيَهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى اخْتَضَبَتْ
نَعْلَاهُ بِالِدَّمَاءِ ، وَكَانَ مَوْلَاهُ زَيْدٌ يَقِيهِ بِنَفْسِهِ حَتَّى لَقِدَ أُصِيبَ
فِي رَأْسِهِ بِجِرَاحَاتٍ ، فَلَمَّا لَمْ يَنْتَلِ مِنْهُمْ خَيْرًا رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ
وَدَخَلَهَا فِي جَوَارِ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ .

وَفِي السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِالْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ
أَمَّا الْإِسْرَاءُ فَهُوَ تَوَجُّهُهُ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ^(١) إِلَى الْمَسْجِدِ
الْأَقْصَى^(٢) فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَرُجُوعُهُ مِنْ لَيْلَتِهِ ، وَأَمَّا الْمِعْرَاجُ
فَهُوَ صُعُودُهُ إِلَى الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ ، وَفِيهِ فُرِضَتِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ
وَالْإِسْرَاءُ كَانَ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ ، وَخَالَفَ فِي ذَلِكَ مَنْ لَا يُعْبَأُ
بِقَوْلِهِ ، وَأَمَّا الْمِعْرَاجُ فَقَدْ اُخْتَلَفُوا فِيهِ : أَمْ كَانَ بِالْجَسَدِ وَالرُّوحِ
مَعًا أَمْ بِالرُّوحِ فَقَطْ ؛ (أَيُّ كَانَ رُؤْيَا صَادِقَةً) فَالْجَهْرُ عَلَى أَنَّهُ
كَانَ بِهِمَا مَعًا ، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهُ كَانَ بِالرُّوحِ فَقَطْ وَمِنْهُمْ

(١) هو مسجد مكة (٢) هو مسجد القدس

عائشة والحسن ومعاوية وغيرهم .

بدء انتشار الدين الاسلامي

لَمَّا رَأَى الرَّسُولُ أَنَّ قُرَيْشًا لَمْ تُمْكِنَهُ مِنْ تَأْذِيَةِ الرَّسَالَةِ
كَانَ يَخْرُجُ فِي مَوَاسِمِ الْعَرَبِ ، وَيَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ ،
فَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ يَرُدُّ رَدًّا قَبِيحًا ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرُدُّ رَدًّا حَسَنًا ،
وَمَنْ أَقْبَحَهُمْ رَدًّا بَنُو حَنِيْفَةَ رَهْطُ مُسَيَّمَةَ الْكَذَّابِ .

وَمَنْ عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَيْهِمْ نَفَرًا مِنْ عَرَبٍ يَثْرِبَ (١) مِنْ
الْأَوْسِ ، فَأَمَّا كَلِمَةُ النَّبِيِّ عَرَفُوا وَصَفَهُ الَّذِي كَانَتْ تَصِفُهُ بِهِ
الْيَهُودُ ، فَقَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَاللَّهِ إِنَّهُ النَّبِيُّ الَّذِي تُوَاعِدُنَا بِهِ الْيَهُودُ
فَلَا تَسْبِقُنَا إِلَيْهِ ، فَأَمِنْ مِنْهُمْ سِتَّةٌ كَانُوا سَبَبَ انْتِشَارِ الْإِسْلَامِ
فِي الْمَدِينَةِ ، وَمِنْهُمْ أَسْعَدُ بْنُ زَرَّارَةَ ، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا بَعْدَ أَنْ
وَعَدُوهُ بِالْمُقَابَلَةِ فِي الْمَوْسِمِ الْمُقْبِلِ .

فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الْقَابِلُ لَقِيَهُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ، مِنْهُمْ عَشْرَةٌ
مِنَ الْأَوْسِ وَاثْنَانِ مِنَ الْخَزْرَجِ ، وَفِيهِمْ خَمْسَةٌ مِنَ السُّتَّةِ
الْأُولَى ، فَأَمَّنُوا عِنْدَ الْعَقْبَةِ وَبَايَعُوهُ عَلَى مَا أَحَبَّ ، وَهِيَ الْعَقْبَةُ
الْأُولَى ، وَكَانَتْ الْمُبَايَعَةُ عَلَى مَا يَأْتِي وَهِيَ : « أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ

(١) هي المدينة المنورة

شَيْئًا وَلَا نَسْرِقَ وَلَا تَزْنِي وَلَا تَقْتُلِ أَوْلَادَنَا وَلَا نَأْتِي بِبُهْتَانٍ
تَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا وَلَا نَعْصِيهِ فِي مَعْرُوفٍ وَأَنْ تَقُولَ
الْحَقَّ حَيْثُ كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ » فَقَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ
السَّلَامُ : فَإِنْ وَفَيْتُمْ فَأَنْتُمْ مِنَ الْجَنَّةِ .

ثُمَّ أَنْصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَظْهَرَ اللَّهُ فِيهَا الْإِسْلَامَ وَلَمْ يَبْقَ
دَارٌ مِنْ دُورِ الْمَدِينَةِ إِلَّا وَفِيهَا ذِكْرُ الرَّسُولِ
وَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الْآتِي سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ لِلنَّبُوَّةِ وَقَدَّ عَلَى
الرَّسُولِ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا وَأَمْرًا تَانٍ ، فَأَسْلَمُوا وَبَايَعُوهُ
عِنْدَ الْعُقْبَةِ وَهِيَ الْعُقْبَةُ الثَّانِيَّةُ .

ثُمَّ تَقَبَّ عَلَيْهِمُ الرَّسُولُ اثْنِي عَشَرَ تَقِيبًا مِنْهُمْ ، لِكُلِّ
عَشِيرَةٍ تَقِيْبٌ ، وَقَالَ لَهُمْ : أَنْتُمْ كُفَلَاءُ عَلَى قَوْمِكُمْ كَكَفَالَةِ
الْحَوَارِيِّينَ لِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، وَإِنِّي كَفِيلٌ عَلَى قَوْمِي
ثُمَّ أَنْصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ فَأَنْتَشَرَ الْإِسْلَامُ فِيهَا بَيْنَ أَهْلِهَا رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ .

الدور الثالث من حياته

ويبتدىء من الهجرة إلى وفاته

الهجرة إلى المدينة

ثُمَّ إِنَّ الرَّسُولَ أَمَرَ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ لِأَزْدِيَادِ الْأَذَى عَلَيْهِمْ ، فَصَارُوا يَتَسَلَّلُونَ^(١) خَوْفًا مِنْ أَنْ تَمْنَعَهُمْ قُرَيْشٌ ، وَلَمْ يَبْقَ فِي مَكَّةَ إِلَّا الْقَلِيلُ . أَمَّا قُرَيْشٌ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ أَتَجَمَعُوا عَلَى قَتْلِ الرَّسُولِ ، وَجَمَعُوا مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ شَابًا حَتَّى يَتَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ . فَأَعْلَمَ اللَّهُ نَبِيَّهُ بِمَا دَبَّرَهُ الْأَعْدَاءُ مِنَ السَّكِينِ ، وَأَمَرَهُ بِاللَّحَاقِ بِدَارِ هِجْرَتِهِ الَّتِي يَنْتَشِرُ فِيهَا الْإِسْلَامُ ، فَتَوَاعَدَ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ عَلَى السَّفَرِ وَأَعْطِيَا دَلِيلًا مَاهِرًا رَاحِلَتَيْنِ^(٢) وَأَمْرَاهُ أَنْ يَجِيءَ بِهِمَا بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ إِلَى غَارِ ثَوْرٍ^(٣) وَكَانَتْ لَيْلَةُ خُرُوجِ الرَّسُولِ مِنْ مَكَّةَ الَّتِي أَعَدَّهَا الْمُشْرِكُونَ لِأَغْتِيَالِ الرَّسُولِ فَالتَفَّ الشُّبَّانُ حَوْلَ دَارِهِ ، فَخَرَجَ الرَّسُولُ وَقَدْ أَلْقَى اللَّهُ النُّومَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَرَوْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ،

(١) أى يخرجون واحداً بعد واحد (٢) واسم هذا الدليل بديل بن ورقاء

(٣) ثور جبل بمكة فيه الغار وهو الغار المذكور في القرآن الكريم

وخلّف مكانه ابن عمه علي بن أبي طالب إيودى ودائع للناس
كانت عنده .

ثم سار حتى اجتمع بأبي بكر فأسرعا حتى وصلا إلى غار
ثور . وكانت سنه إذ ذاك عليه الصلاة والسلام ثلاثاً وخمسين سنة
فلما علم المشركون بفساد مكرهم هاجوا لذلك ، فأرسلوا
الطلاب من جهة ، وجعلوا لمن يأتي به أو يدل عليه مائة
ناقة ، وقد وصلوا في طلبهم إلى الغار فأعمى الله أبصارهم عنهما ،
ومما يذكر أن الرسول عليه السلام حينما كان ذاهباً مع
أبي بكر إلى الغار كان غير لابس شيئاً في رجايه فحمله أبو بكر
على كاهله حتى انتهى إلى الغار ، فإما أراد النبي أن يدخل
قال له أبو بكر والذي بعثك بالحق نبياً لا تدخله حتى أدخله
فدخل أبو بكر فجعل يلهس الغار بيده في ظلمة الليل مخافة
أن يكون فيه شيء يؤذي الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلما لم
ير فيه شيئاً أوعز إلى الرسول بالدخول ، ولما أراد الرسول النوم
جعل أبو بكر رضي الله عنه رأسه على ركبته ، وبينما كان عليه
الصلاة والسلام نائماً رأى أبو بكر ثقباً في الأرض فوضع
عقبه عليه خشية أن يكون فيه ما يؤذي الرسول فلدغته

عقرب^١ كانت فيه فلم يتحرك فلما اشتد به الألم تساقطت دموعه على وجه الرسول فاستيقظ ، فقال له ما يؤذيك فقال : لدغْتُ فتفل عليه فذهب ما يجده من الألم باذن الله .

وبعد ثلاث ليال جاءها الدليل بالراحلتين فساروا قاصدين إلى المدينة ، فوصلوا إلى قباء يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول . وكان التاريخ من ذلك ثم رُدَّ إلى الحرم . وهو أول تاريخ جديد لظهور الإسلام بعد أن مضى عليه ثلاث عشرة سنة وهو مضيق عليه في مكة ورسول الله ممنوع من الجهر بعبادة ربه — وبهذه الهجرة تمت للرسول سنة إخوانه من الأنبياء قبله ، فإِ مِنْ نَبِيِّ إِلاَّ نَبَتَ فِي بِلَادِ نَشَاتِهِ ثُمَّ هَاجَرَ عَنْهَا ، مِنْ إِبْرَاهِيمَ أَبِي الْأَنْبِيَاءِ إِلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ كَلِمَةَ اللَّهِ

وقد بنى رسول الله وهو في قباء مسجدها الذي وصفه الله بأنه مسجده أسس على التقوى من أول يوم ، وقد صلى فيه الرسول بمن معه من المهاجرين والأنصار .

ثم خرج الرسول من قباء بعد أن قام فيها اثنتين وعشرين ليلة . وفي الطريق أذركته الجمعة فصلاها

بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمَسْلَمِينَ وَكَانُوا مِئَةً ، وَهِيَ أَوَّلُ جُمُعَةٍ صَلَّىهَا
ثُمَّ رَكِبَ الرَّسُولُ بَعْدَ الْجُمُعَةِ وَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَدِينَةِ ،
وَالْأَنْصَارُ مُحِيطُونَ بِهِ ، وَهُمْ مُتَقَلِّدُونَ سَيُوفَهُمْ ، وَهَنَا حَدَّثَ
عَنْ سُرُورِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَلَا حَرَجَ ، وَقَدْ خَرَجَ لِلْمُلَاقَاةِ فِيمَنْ
خَرَجَ النِّسَاءَ وَالصِّدِّيَّانُ وَالْوَلَائِدُ — يَنْشُدْنَ :

أَشْرَقَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ تَنْذِيَّاتِ الْوِدَاعِ

وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا لَكَ دَاعٍ

أَيُّهَا الْمَبْعُوثُ فِينَا جِئْتَ بِالْأَمْرِ الْمَطَاعِ .

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَدِينَةِ أَرْسَلَ فِي طَلَبِ مَنْ
تَخَلَّفَ مِنْ أَهْلِهِ ، وَخَرَجَ مَعَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فِي عِيَالِ
أَبِيهِ ، وَمَنْعَ مُشْرِكُو مَكَّةَ بَعْضًا مِنَ الْمَسْلَمِينَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ
الهِجْرَةِ وَحَبَسُوهُمْ وَعَذَّبُوهُمْ

السنة الاولى من الهجرة

فيها بنى مسجده الشريف ، وقد عمل فيه الرسولُ بنفسه
ترغيباً للمسلمين في العمل

وفيها شرع الأذان ليجتمع الناس متى حان ^(١) وقتُ
الصلاة

ولما رأت اليهود أن قدم الإسلام قد رسخت في المدينة
هاجتهم ^(٢) العداوة والحسد فتحزبوا على المسلمين ، وقد كانوا
من قبل يستفتحون ^(٣) على المشركين بنبيٍّ يُبعثُ قد قُرب
زمانه وذلك إذا نشبت ^(٤) الحرب بين الفريقين ؛ ولكن
أغتمهم الرئاسة فاستعظموها الامر . وكان يساعدهم على عملهم
هذا جماعة منافقون من غرب المدينة يرؤسهم عبد الله بن أبي
ابن أبي سلول الخزرجي . ثم عقد الرسولُ مع اليهود عقداً
على أن يتركوا أذاهُ ويترك محاربتهم

(١) أي قرب (٢) اثارهم وميجتهم (٣) أي يستنصرون (٤) علفت

مشروعية القتال

عَلِمْتَ أَنَّ الرَّسُولَ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ سَيْفٌ يَضْرِبُ بِهِ أَعْنَاقَ
النَّاسِ لِأَكْرَاهِهِمْ عَلَى الدِّينِ ، بَلْ كَانَ الْأَمْرُ قَاصِرًا عَلَى الدَّعْوَةِ
وَالتَّبْشِيرِ ، فَعَارِضُهُ مِنْ عَارِضَةٍ ، وَأَذَاهُ مِنْ آذَاهُ بَغْيًا وَحَسَدًا
وَطَمَعًا فِي الرَّئَاسَةِ ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ الرَّسُولُ وَمَنْ آمَنُوا مَعَهُ
صَابِرِينَ عَلَى ذَلِكَ الْأَذَى وَالضَّمِيمِ ، إِلَى أَنْ فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ
بِالْهِجْرَةِ وَشَدَّ أَرْحَمَ وَأَبَاحَ لَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا بِتَارِهِمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ
قُرَيْشٍ ، وَكَانَ الْأَمْرُ قَاصِرًا عَلَيْهِمْ ، لَكِنْ لَمَّا اتَّخَذَ إِلَى قُرَيْشٍ
غَيْرُهُمْ مِنَ الْعَرَبِ ، وَجَاهَرُوا الْمُسْلِمِينَ بِالْعِدَاوَةِ وَسَاعَدُوا
قُرَيْشًا قَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، وَكَذَا لَمَّا جَاهَرَتِ الْيَهُودُ بِالْعُدْوَانِ
وَأَرَادُوا حَرْبَ الْمُسْلِمِينَ قَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ بِالْجِهَادِ
عَامًّا لِكُلِّ مَنْ أَرَادَ الْمُسْلِمِينَ بِسُوءٍ ، وَبِهَذَا تَعَلَّمَ صِحَّةَ
مَا اثْبَتْنَاهُ فِي أَوَّلِ الرَّسَالَةِ مِنْ أَنَّ الدِّينَ لَمْ يَقُمْ بِالسَّيْفِ وَإِنَّمَا قَامَ
بِالدَّعْوَةِ ، وَالسَّيْفُ إِنَّمَا شَرَعَ لِحَايَتِهَا وَدَفْعِ الْمَعَارِضِينَ لَهَا .

بدء القتال

ولما أُذِنَ لِلرَّسُولِ بِقِتَالِ أَعْدَائِهِ كَانَ أَوَّلَ مَا بَدَأَهُمْ بِهِ أَنَّهُ
أَرْسَلَ سَرِيَّةً^(١) بِرِثَاسَةَ عَمَّةِ حَمْزَةَ لِأَعْتِرَاضِ عَيْرٍ^(٢) لَهُمْ قَادِمَةً
مِنَ الشَّامِ، وَلَمْ يَكُنْ حَرْبٌ، ثُمَّ سَرِيَّةً بِرِثَاسَةَ عَبِيدَةَ بْنِ الْحَارِثِ
ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لِأَعْتِرَاضِ عَيْرِهِمْ، فَكَانَ الرَّمِيُّ بِالنَّبَالِ إِلَى
أَنْ هَرَبَ الْمُشْرِكُونَ

السنة الثانية

غزوات ودان وبواط والعشيرة وبدر الاولى

فبها غزوة ودان — خَرَجَ الرَّسُولُ فِي سِتِّينَ رَجُلًا مُعْتَرِضًا
عَيْرَ قَرَيْشٍ، وَلَمْ يَكُنْ حَرْبٌ لِأَنَّ الْعَيْرَ كَانَتْ قَدْ سَبَقَتْهُ
وَفبها غزوة بطاط : خَرَجَ فِي مَائَتَيْنِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لِلْعَيْرِ
وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا

(١) المراد من السرية كل غزاة لم يكن فيها رسول الله . والمراد بالغزوة ما كان فيها الرسول (٢) العير الجمال التي تحمل الطعام وغيره وكان معها ثلاثمائة رجل يرثيهم أبو جهل . وقصد الرسول من أخذ العير أن تضعف قوة قريش المالية فلا يستطيعوا الثبات في المحاربة لانهم كانوا بلا شك يتصدون قتاله انتصارا لانهم

وفيهما غزوة العسيرة : خَرَجَ فِيهَا الرَّسُولُ بِمِئَةِ وَخَمْسِينَ مِنْ
المُهَاجِرِينَ لِأَعْتِرَاضِ عَيْرٍ عَظِيمَةٍ لِقُرَيْشٍ بِرَأْسِهَا أَبُو سَفِيَّانَ ،
وَكَانَتْ قَاصِدَةً إِلَى الشَّامِ وَلَمْ يَخْصُلْ حَرْبٌ لِفَوَاتِ الْعَيْرِ
وفيهما غزوة بدر الأولى : وَأُسْمِي غَزْوَةَ سَفْوَانَ أَيْضًا :

خَرَجَ إِلَيْهَا الرَّسُولُ فِي طَلَبِ كُرْزِ بْنِ جَابِرِ الْفَهْرِيِّ لِأَنَّهُ أَغَارَ
عَلَى سَرْحٍ^(١) الْمَدِينَةَ وَهَرَبَ ، وَلَمْ يَكُنْ قِتَالٌ لِفِرَارِ كُرْزِ
وفيهما : أَرْسَلَ سَرِيَّةً بِرِئَاسَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ لِأَعْتِرَاضِ
عَيْرِ قُرَيْشٍ الْقَادِمَةِ مِنَ الشَّامِ ، فَأَصَابُوهَا وَرَجَعُوا ، وَهِيَ أَوَّلُ
غَنِيمَةٍ فِي الْإِسْلَامِ .

وفيهما : تَحَوَّلَتِ الْقِبْلَةُ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى الْكَعْبَةِ بَعْدَ
أَنْ مَكَثَ الْمُسْلِمُونَ يَتَوَجَّهُونَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ
شَهْرًا .

صوم رمضان وزكاة الفطر

وَفِي شَهْرِ شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ فُرِضَ صَوْمُ رَمَضَانَ ،
وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ ذَلِكَ يَصُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ .
وَالْحِكْمَةُ مِنَ الصَّوْمِ أَشْهُرُ مَنْ أَنْ تَذَكَرَ ، وَلَوْ لَمْ

(١) السرح المال الراعى كالغنم ونحوها

يَكُنْ مِنْ فَوَائِدِهِ سِوَى أَنْ الصَّائِمَ يَذُوقُ مِنْ قَوَارِصِ الْجُوعِ
وَالْعَطَشِ مَا تَلِينُ بِهِ نَفْسُهُ وَيَتَهَدَّبُ بِهِ خَلْقُهُ ، فَيَتَذَكَّرُ حَالَةَ
الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، فَيَسْهَلُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ الصَّدَقَاتِ لَهُمْ رَحْمَةً
بِهِمْ لَكْفِي .

وقد أوجب الشارح الحكيم عقب الصوم زكاة الفطر
وجعل قبول الصوم مُعلقاً على بذلها لِاستحقاقها ، والفائدة من
الصوم والصدقة في الحقيقة راجعة إلينا ، ومنفعة ذلك عائدة
علينا ، لأن الله ليس محتاجاً إلى عبادتنا ، وإنما أمرنا بذلك
لما فيه من الخير العميم ، والله غني عن العالمين
وأما من يقول : إن الله أمر الناس لإغنائهم وإزهاقهم
والتضييق عليهم فهو جاهل غرّب بعيد عن حجة الصواب ،
إذ ما من عبادة إلا فيها حكمة باهرة وموعظة ظاهرة ،
يعلّمها من يعلّمها ويجهلها من يجهلها

زكاة المال وحكمتها

وفي السنة الثانية أيضاً فرض الله على الأغنياء من الأمة
الزكاة التي هي النظام الوحيد والسبب الأقوى لدفع غائلة

الفقر والإعدام عن الأمة إن هي صرقت بحققها على مستحقيها
فيا كل الفقراء والمساكين والعجزة واليتامى الذين ليس لهم
من يقوم بحاجاتهم ولا ما يقوم بأودهم من مال إخوانهم
الأغنياء بلا ضرر ولا ضرار .

والزكاة لم يوجبها الشارع الحكيم عبثاً بل لمنافعها
الجمّة وفوائدها الكثيرة التي منها تهذيب النفوس حتى تتجرد
عن رذيلة الشح ودناءة البخل ، وتتحلى بأوصاف الجود ،
وتتزيّن بنعوت السخاء والكرم ، هذا عدا ما قد مناه من رفع
الفقراء من وهدة العدم وتخليصهم من مخالب الفقر . وكل من
نظر نظرة منصف بعيد عن التعصب يحكم أن نظام الزكاة
مع كونه غير مضرّ بالآغنياء سبب لتخفيف وطأة الفقر الذي
أحوج كثيراً من فقراء الأمم أن يخالفوا نظام الإنسانية
ويؤسسوا مبادئ وأصولاً لتقويض أركان العمران ومباني
الامن والراحة ، حباً بالمساواة بين الغنى والفقير ، كما يفعل
ذلك فوضويو الاشتراكيين .

وأما ما أوجبته الشريعة الغراء فهو في غاية العدل ونهاية

الانصاف ، لأنهم لم تجبر الغني الذي أصاع جزءاً وإفراً من حياته أن يشاطر الفقير ماله ، بل أمرته بأن يودى في السنة جزءاً مخصوصاً من ماله عن طيب نفس منه . ولكن يا للأسف ! فإن كثيراً ممن يُسمون أنفسهم مسلمين غافلون عن فائدة هذا النظام ، ولذا أهملوا هذه الفريضة العظيمة ، إما عن عدم أكثرات لها ، أو عن الجهل ، أو بحيل يظن فاعليها أنها تسقط الزكاة عنه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

غزوة بدر الكبرى

وفي هذه السنة وقعت غزوة بدر^(١) الكبرى وهي الثانية : وذلك أن الرسول خرج ومعه ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً^(٢) ليعترض عير قريش العظيمة وهي راجعة من الشام « وهي التي قدمنا في غزوة العشيرة أنها فاتته ولم يلقها » فلما علمت قريش بذلك جمعت الجموع وكانت عدتهم ألف رجل ، فعلم الرسول بهم فقصدهم من معه على قلتهم فالتقى الفريقان ببدر وكان يوماً من أشد الأيام هولاً ، وأيد الله المسلمين بالملائكة

(١) هي اسم بئر وكانت لواقعة قريباً منها (٢) مائتان وأربعون من الانصار والباقيون من المهاجرين ولم تكن الانصار تخرج معه قبل هذه المرة

تَقَاتِلُ مَعَهُمْ^(١) فَإِذَا تَبَكَّنَ إِلَّا سَاعَةً حَتَّى دَارَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى قُرَيْشٍ
فَأَنهَزَ مُوَاتَرِكِينَ فِي سَاحَةِ الحَرْبِ سَبْعِينَ رَجُلًا قَتِيلًا وَسَبْعِينَ
أَسِيرًا ، وَغَنِمَ المُسْلِمُونَ غَنَائِمَ عَظِيمَةً ، وَكَانَ هَذَا اليَوْمُ هُوَ
يَوْمَ الفِرْقَانِ الَّذِي أَعَزَّ اللهُ بِهِ الإِسْلَامَ . وَمَنْ قُتِلَ فِي هَذِهِ
المَعْمَةِ مِنَ المُشْرِكِينَ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ . وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ
هَشَامٍ . وَقُتِلَ مِنَ المُسْلِمِينَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا
ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى المَدِينَةِ فَرِحِينَ مَسْرُورِينَ بِهَذِهِ النِّصْرَةِ العَظِيمَةِ
وَقَدْ أَمَنَّ اللهُ بِهَذَا النِّصْرِ عَلَى المُسْلِمِينَ بِقَوْلِهِ : « وَاقْدِرْ نَصْرَ مَنْ
اللهُ يَبْدُرُ وَأَنْتُمْ أَذِيَّةٌ »

أَمَّا الأَسْرَى فَأَقْتَدَشَهُمْ قُرَيْشٌ ، وَكَانَ الفِدَاءُ مِنْ أَرْبَعَةِ
أَلْفِ دِرْهَمٍ إِلَى أَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ مَالٌ لِفِدَائِهِ هُوَ
يُحْسِنُ القِرَاءَةَ وَالمَكْتَابَةَ أُعْطُوهُ عَشْرَةَ مِنْ صَبِيَّانِ المَدِينَةِ
لِيُعَلِّمَهُمْ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِدَاءَهُ .

غزوات قرقر الكدر

وقينقاع والسويق

وفي هذه السنة : كانت غزوة قرقر الكدر : خرج

(١) ويروى عن ابن عباس ان الملائكة لم تقاتل الا يوم بدر وفيما سواها كانت عدداً ومدداً .

الرَّسُولُ يُرِيدُ بَنِي سَلِيمِ وَلَمْ يَكُنْ حَرْبٌ لَّأَنَّهُ لَمْ يَلْقَ أَحَدًا ،
وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ آيَةً

وفبرها غزوة قينقاع : وهم قوم من يهود المدينة ، نقضوا
العهد وجأهروا بالعداوة ، فحذر الرسول رؤساءهم فأغلظوا له
في الكلام فحاصروهم الرسول . فلما رأوا عجزهم سألوه أن
يُخَلِّيَ سَبِيلَهُمْ عَلَى أَنْ لَهُ الْأَمْوَالُ وَلَهُمُ الذَّرِيَّةُ وَالنِّسَاءُ فَقَبِلَ مِنْهُمْ
وَطَرَدَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ فَلَحِقُوا بِأَذْرِعَاتٍ ، وَأَخَذَ الْمَسَامُونَ مِنْ
حِصْنِهِمْ سِلَاحًا وَآلَةً كَثِيرَةً

وفبرها غزوة السويق : خرج يريد أبا سفيان لخروجه
لغزوة المسامين ، وكان مع النبي ميثمًا راكبًا ، ومع أبي سفيان
مثلها ، ولم يكن قتالٌ لهرب أبي سفيان ومن معه . وكان مع
المشركين سويق^(١) فأثموه وهم هاربون تخفيفاً لأثقالهم
فغنمه المسامون

صلاة العید وزواج علي بفاطمة

ودخول النبي بعائشة

وفبرها : سنَّ اللهُ صَلَاةَ الْعِيدِ الَّتِي لَا تَخْفَى حِكْمَتُهَا عَلَى عَاقِلٍ

(١) السويق : هو الناعم من دقيق الخنطة والشعير

فَكَانَ يَجْمَعُهُمُ الرَّسُولُ فِي يَوْمِي عِيدِ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى ، وَيُصَلِّي
بِهِمْ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَخْطُبُ بِهِمْ مَذْكُرًا وَوَاعِظًا وَحَاضِنًا عَلَى جَمْعِ
الْكَلِمَةِ وَعَدَمِ التَّفَرُّقِ وَأَنْ يَكُونُوا كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ لَا فَرْقَ
بَيْنَ الْعَرَبِيِّ وَالْعَجَمِيِّ وَالْمَوْلَى وَالسَّيِّدِ ، ثُمَّ يُصَافِحُ الْمُسْلِمُونَ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى أُمَّمِ الْوِثَامِ وَالْإِتِّفَاقِ ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ لِأَدَاءِ
الصَّدَقَاتِ . وَصَدَقَةُ عِيدِ الْفِطْرِ زَكَاتُهُ ، وَصَدَقَةُ عِيدِ الْأَضْحَى
أَضْحِيَّتُهُ .

وفيهما : تزوج علي^{عليه السلام} بفاطمة رضي الله عنهما ، وكان عمره
إحدى وعشرين سنة وعمرها خمس عشرة سنة . وكان منها
عقب رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وفيهما : دخل النبي^{صلى الله عليه وسلم} بعائشة بنت أبي بكر الصديق رضي
الله عنهما .

السنة الثالثة

غزوة غطفان

فبها غزوة غطفان : فقد خرج الرسول إليها يريد جمعاً من بني ثعلبة ومجارب أرادوا الإغارة على المدينة ، يرؤسهم دعثور بن الحارث الحارثي ، ومعه أربع مائة وخمسون فارساً فلما علموا بخروج الرسول هربوا متفرقين في الجبال .

وحدث في هذه الغزوة أن الرسول نزع ثوبه ليخففه من بلل كان قد أصابه ، واتكأ تحت شجرة ، فجاءه دعثور يريد قتله خيلةً فلما هم بذلك قال : من يمنعك مني يا محمد ؟ فقال الرسول : الله تعالى ، فأصاب الرجل هيبته وخوفه ، فسقط السيف من يده ، فتناوله الرسول وقال : من يمنعك مني ؟ فقال دعثور : لا أحد ، فعفا عنه الرسول ، فأسلم ودعا أصحابه إلى الإسلام . ولا عجب من إسلامه وإسلام قومه ؛ فإن هذه هي نتيجة الحسنى والنعامة اللبنة

غزوة بجران

وفبرها غزوة بجران : فقد سار الرسول إليها ومعه ثلاثمائة من أصحابه ، يريد بني سليم لما بلغه أنهم يريدون الإغارة على المدينة فوجدهم قد تفرقوا ولم يلق حرباً .

غزوة أجد

وفي هذه السنة كانت غزوة أجد^(١) سارت قریش للحرب المسلمين أخذاً بتأر من قتل من أشرافهم يوم بدر ، وكان عددهم مع من حالفهم من العرب ثلاثة آلاف رجل ، عدا الخيل والعدد الزائدة . فلما علم الرسول بذلك من كتاب أرسله إليه عمه العباس خرج ومعه ألف رجل . ثم رجع عنهم عبد الله بن أبي في ثلاثمائة من أصحابه المنافقين . ولما اصطف الجيشان للقتال أمر الرسول الرماة^(٢) وكانوا خمسين رامياً برئاسة عبد الله بن جبير ، وقال لهم : لا تبرحوا من مكانكم ، انتصرتنا أو انكسرتنا . ثم التقى الجمعان ، فكانت النصرة للمسلمين ، ودارت الدائرة على قریش . فلما رأى

(١) احد هو جبل بالمدينة (٢) الرماة : من يرمون بالنبل ، وهم فردهم

الرُّمَاءُ أَنْتَصَرَ الْمُسْلِمِينَ تَرَكَوْا مَكَانَهُمْ وَأَسْتَغْلَوْا بِالسَّبَبِ
وَالنَّهْبِ إِلَّا رَيْسَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ وَقَلِيلاً مَعَهُ . فَلَمَّا رَأَى خَالِدُ بْنُ
الْوَلِيدِ (وَكَانَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكًا) أَنَّ الْجَبَلَ خَالَ مِنَ الرُّمَاءِ
الَّذِينَ كَانُوا حِصْنًا لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ وِرَائِهِمْ كَرَّ بِالْحَيْلِ ، وَتَبِعَهُ
عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ، فَأَلَوْا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ وَمَنْ بَقِيَ مَعَهُ
فَقَتَلُوهُمْ ، ثُمَّ انْعَظَفُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ وِرَائِهِمْ وَهُمْ مُسْتَغْلُونَ
بِالدُّنْيَا ، فَأَعْمَلُوا فِيهِمُ السِّيفَ فَدَهَسَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ هَذَا
الْبَلَاءِ الَّذِي صَبَّ عَلَيْهِمْ ، وَدَارَتْ عَلَيْهِمُ الدَّائِرَةُ بَعْدَ الْإِنْتِصَارِ
حَتَّى أَنْهَزَمَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ . وَثَبَتَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْحَرْجُ مَعَ
الرَّسُولِ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ ، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ ، وَقَدْ
أَصَابَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ شِدَائِدُ كَثِيرَةٍ تَحْمَلُهَا بِصَبْرِهِ وَحِزْمِهِ ، فَقَدْ
شَجَّ وَجْهُهُ وَكَسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ بِحَجَرٍ وَجُرِحَتْ وَجَنَّتَاهُ . وَهُمْ يَقْتُلُهُ
عُمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ فَقَتَلَهُ الْحَارِثُ بْنُ الصَّحْمَةِ ، وَجَاءَهُ
أَبِي بَنْ خَلْفٍ يُرِيدُ قَتْلَهُ فَرَمَاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِحَرْبَةٍ فَقَتَلَهُ ، وَلَمْ
يَقْتُلْ رَسُولَ اللَّهِ غَيْرَهُ ، وَكَذَلِكَ أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانُوا
يُدَافِعُونَ عَنِ الرَّسُولِ جِرَاحَاتٌ كَثِيرَةٌ .

وَكَانَ عَدَدُ مَنْ قَتَلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبْعِينَ وَنِيفًا^(١) مِنْهُمْ .

(١) النيف : بتشديد الياء وتخفيفها ومعناه الزيادة ويستعمل بعد العدد فيقال عشرة

سِتَّةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْبَاقُونَ مِنَ الْأَنْصَارِ . وَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
ثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ . وَقَدْ مَمَّلَتْ قُرَيْشٌ بِقَتْلِ الْمُسْلِمِينَ تَمْثِيلًا
فَظِيمًا .

وَمَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَمْرَةَ عَمِّ الرَّسُولِ ، غَافِلَةٌ وَحَشِيَّةٌ
غُلَامٌ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ بِحَرْبَةٍ كَانَتْ سَبَبَ هَلَاكِهِ ، وَكَانَ
جُبَيْرٌ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَهُ لِهَذَا الْأَمْرِ أَخَذًا بِثَأْرِ عَمِّهِ طُعَيْمَةَ الَّذِي
قَتَلَهُ حَمْرَةَ يَوْمَ بَدْرٍ .

وَهَذَا الْأَنْكِسَارُ يُدْكَرُ نَالُو نَعْلِمُ بِأَمْرَيْنِ مُهِمَّيْنِ :
أَحَدُهُمَا عَدَمُ مُخَالَفَةِ الرَّسُولِ فِي جَمِيعِ مَا يَأْمُرُ بِهِ ، لِأَنَّهُ لَا يَأْمُرُ
إِلَّا بِمَا فِيهِ الْحِكْمَةُ وَالسَّدَادُ ، وَالثَّانِي عَدَمُ الْأَلْتِفَاتِ لِأَمْرِ
الدُّنْيَا إِذَا كَانَ فِيهِ مَا يَضُرُّ بِالدِّينِ . وَهَذَانِ الْأَمْرَانِ فَقِدَا يَوْمَ
أَحَدٍ ، أَمَّا الْأَوَّلُ فَلِمُخَالَفَةِ الرُّمَّةِ أَمْرَ الرَّسُولِ ، وَأَمَّا الثَّانِي
فَلِتَرْكِ الْمُسْلِمِينَ الْجِهَادَ وَالْمُدَافَعَةَ وَمَيْلِهِمْ لِلِسَلْبِ وَعَرَضِ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا ، وَلِذَلِكَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذَا الْبَلَاءَ ، بَعْدَ انْتِصَارِهِمْ
عَلَى الْأَعْدَاءِ .

غزوة حمراء الاسد

وفيها غزوة حمراء الأسد: خرج إليها الرسول صبيحة يوم أُحُدٍ يريد قريشاً خوفاً من رجوعهم إلى المدينة، وأمر أن لا يخرج إلا من كان معه بالأمن، ولم يلق حرباً لأن المشركين لما بلغهم ذلك أسرعوا حتى لحقوا بمكة، خوفاً من تجميع الجموع لهم.

حوادث

وفبرها: تزوج عثمان بن عفان أم كاثوم بنت الرسول بعد موت أختها رقية، ولذلك بسى ذا النورين.
وفبرها: تزوج عايه السلام حفصة بنت عمر بن الخطاب وزينب بنت خزيمة.
وفبرها: ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما.

تحريم الخمر

وفي هذه السنة حرم الله الخمر ألبتة لما فيها من الأضرار الظاهرة في العقل والمال والجسم، ولا ينكر ذلك إلا مكابرة حتى إن كل الأطباء والعلماء في الشرق والغرب، قاموا على قدم الجد

وساق الأجتهاذ بحاربون المسكرات حرباً شديدة، وبجاهدون
فيمن يميل إلى تعاطيها جهاداً أدبياً، لتحققهم مضراتها الجمة
ومفاسدها الكثيرة، ومن طالع تاريخ العرب الذين كان
أكثرهم مذمناً على شربها وجد أن فيهم أفراداً حرّموا على
أنفسهم ابتعاداً من غوائلها .

وكانت الحرة غير محرمة في أول الإسلام، ثم حرمت
تدريجاً، ولم تحرم أئمة دفعة واحدة لصعوبة ذلك على القوم
لمحبتهم إياها وألفتهم لها، حرمت أولاً في الصلاة لما شربها
بعض المسلمين وخطأ في القراءة، قال الله تعالى : « ولا تقرّبوا
الصلاة وأنتم مسكارى حتى تعلموا ما تقولون » . ثم حرمت قطعياً
لما اعتدى بعض المسلمين على إخوانهم بقوله عز وجل « إنما
الجور والميسر والأنصاب والأزلام رجس^(١) من عمل الشيطان
فاجتنبوه »

أما الرسول وطائفة من أصحابه فلم يذوقها مدة
حياتهم قط .

(١) الميسر : القمار . والأنصاب : الأصنام تنصب للعبادة . والأزلام : قدام القمار
وأدواته . رجس : نجس

السنة الرابعة غزوات بني النضير

فيها غزوة بني النضير: وهي قبيلة كبيرة من يهود المدينة كان بينهم وبين المسلمين عهد يأمن به كل منهم كئذ الآخر وقد اتفق أن الرسول كان مع نفر من أصحابه في ديارهم، فزبن لهم الشيطان أن يقتلوا الرسول، فخرج من عندهم وتبعه أصحابه ثم أرسل إليهم يأمرهم بالجملاء^(١) عن البلاد فاطاعوا ثم امتنعوا فحاصرهم المسلمون حتى أجبروهم على الرجيل، فرحلوا وحملوا أموالهم ونساءهم وأولادهم إلا آلة الحرب وما لا يستطيعون حمله على الأبل

غزوة ذات الرقاع

وفيها: غزوة ذات الرقاع^(٢). خرج ومعه سبعمائة مقاتل يريد قبائل من نجد وهم بنو محارب وبنو ثعابة لأنهم نهياوا لحرب المسلمين. فلما علموا بخروجه هربوا وتركوا نساءهم، ثم

(١) الجملاء: النزوح (٢) سميت بذات الرقاع لأنهم رقعوا فيها راياتهم وفي البخاري ما يدل على أنها سميت بذلك لأنهم لفوا على أرجلهم فيها الخرق.

اجتمع منهم جمعٌ لِقِتَالِ الرَّسُولِ ؛ فَقَدَفَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ
وَلَمْ تَكُنْ حَرْبٌ ، وَفِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ نَزَلَ جِبْرِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)
بِصَلَاةِ الْخَوْفِ . وَفِيهَا أَيْضًا نَزَلَتْ رُخْصَةُ التَّيْمَمِ

غزوة بدر الآخرة

وفيهما : غزوة بدر الآخرة . خَرَجَ إِلَيْهَا وَمَعَهُ أَلْفٌ
وخمسة مائة رجلٍ لميعادِ أَبِي سُفْيَانَ (١) ، وَلَمْ يَكُنْ قِتَالٌ لِأَنَّ أَبَا سُفْيَانَ
أَخْلَفَ الْوَعْدَ ، وَكَانَ قَدْ أَرْسَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ رَجُلًا لِيُخَوِّفَ الْمُسْلِمِينَ
مِنْهُ وَمِمَّا جَمَعَهُ لَهُمْ مِنَ الْجُمُوعِ ؛ فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَنَبَاتًا ،
وَقَدْ ظَنَّ أَنَّ عَمَلَهُ هَذَا يُثَبِّطُ (٢) الْمُسْلِمِينَ عَنِ الْخُرُوجِ فَلَا
يَكُونُ هُوَ الْمُخْلَفَ لِلْوَعْدِ .

حوادث

وفيهما : تُوَفِّقَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ مُخْزِمَةَ زَوْجَ الرَّسُولِ
وفيهما : وُلِدَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
وفيهما : تَزَوَّجَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُمَّ سَلَمَةَ هِنْدًا
وفيهما : أَمَرَ الرَّسُولُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ أَنْ يَتَعَلَّمَ كِتَابَةَ الْيَهُودِ
لِيَكْتُبَ لَهُ إِلَيْهِمْ وَيَقْرَأَ لَهُ مَا يَكْتُبُونَهُ إِلَيْهِ .

(١) كان أبو سفيان قال لهم يوم أحد قبل انصرافه : موعدكم بدر ، العام المقبل فاجابه المسلمون الى ذلك وخرجوا هذه السنة ايفاء بالوعد (٢) أي يشغلهم عنه ويمنعهم منه

السنة الخامسة

غزوة دومة الجندل

فبها غزوة دومة الجندل^(١) : خرج إليها الرسول بألف رجل ، يُريدُ جمعاً من الأعرابِ يظلمونَ من مرة بهم ، وقد عزموا على غزو المدينة . فلما دنا منهم هربوا وتركوا ماشيتهم فاستاقها المسلمون ، ورجعوا سالمين غانمين

غزوة بني المصطلق

وفبها غزوة بني المصطلق^(٢) ، وتسمى المر يسيع^(٣) أيضاً خرج إليهم الرسول لتجديدهم الجيوش لحرب المسلمين ، وهم ممن ساعدوا قريشاً يوم أُحُد . ولما علموا بخروج الرسول خافوا خوفاً شديداً ، وتفرق عنهم من كان معهم من العرب ، فلما بلغ المسلمون المر يسيع تصاف الفريقان للقتال فتراموا بالنبال ساعة ؛ ثم حمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد فأصابوهم وسبوا

(١) هي مدينة بينها وبين دمشق خمس ايام وتبعد عن المدينة خمس عشرة ليلة
(٢) المصطلق لقب جدية بن سعد بن عمرو ، سمي به لحسن صوته ، وكان اول من غنى من خزاعة (٣) المر يسيع : هو ماء لبني خزاعة

النساء والرجال والذرية والأموال ، وقتلوا منهم عشرة ، ولم
يقتل من المسلمين إلا واحد ؛ وأسروا سائرهم .
وكان في الأسرى من نساء الأعداء برة بنت الحارث
سيد القوم ، فتزوجها الرسول ، وسماها جويرية وكان من
قومها ميتا أسير وزعوا على المسلمين ، فلما تزوجها النبي قال
المسلمون : أصهار رسول الله لا ينبغي أسرهم في أيدينا ،
فمنوا عليهم بالعتق . وإن فيما فعاه الرسول من زواجه بنت
الحارث من حسن السياسة ومنتهى الكرم . مالا يدركه
إلا رسول الله . وكان هذا الكرم العظيم سببا في إسلام
بني المصطلق جميعا ، وصاروا أعوانا للمسلمين بعد أن
كانوا أعداءهم

غزوة الخندق

وفيه غزوة الخندق ، وهي الأحزاب : اجتمع طوائف
من مشركي قريش وغيرهم من العرب وبنو النضير من
اليهود لحرب المسلمين ، وعددهم عشرة آلاف رجل . ويرأس^(١)
الجميع أبو سفيان لأنه كان قائدهم العام ، أما المسلمون فلم

(١) رأس يرأس من الباب الثاني فهو كضرب يضرب

يَخْرُجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ ، بَلْ حَفَرَ الرَّسُولُ خَنْدَقًا^(١) ، عَمَلًا بِإِشَارَةِ
سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ، حَذْرًا مِنْ هَجُومِ الْأَعْدَاءِ عَلَيْهَا . وَأَمَّا
الْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ فَحَاصَرُوا الْمَدِينَةَ وَضَيَّقُوا عَلَيْهَا شَدِيدًا .
وَأَسْتَمَرَ الْحِصَارُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا .

وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ نَقَضَ بَنُو قَرَيْظَةَ الْيَهُودُ الْعَهْدَ وَتَظَاهَرُوا
ضَدَّ الْمُسْلِمِينَ بِالْعَدَاوَةِ . وَكَذَلِكَ الْمُنَافِقُونَ أُبْرِزُوا مَا تَكْذِبُهُ
صُدُورُهُمْ مِنَ النِّفَاقِ ، فَاشْتَدَّ عِنْدَ ذَلِكَ الْبَلَاءِ وَعَظُمَ الْخَوْفُ
عَلَى الْمُسْلِمِينَ ؛ لِأَنَّ الْعَدُوَّ أَتَاهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلِ مِنْهُمْ
حَتَّى زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ، وَظَنَّ الْمُسْلِمُونَ
بِاللَّهِ الظَّنُّونَ ، فَأَرْسَلَ الرَّسُولُ عِنْدَ ذَلِكَ خَمْسًا مِائَةَ مُقَاتِلٍ لِحِرَاسَةِ
الْمَدِينَةِ خَوْفًا عَلَى النِّسَاءِ وَالذَّرَارِيِّ

وَلَمْ يَرَالُوا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ إِلَى أَنْ هَرَبَ الْأَحْزَابُ الْمُحَاصَرُونَ
مِنْ خَوْفِ أَصَابِهِمْ^(٢) . وَأَرَاخَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذِهِ النَّقْمَةِ
وَفِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ قَتَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَمْرُوبَ بْنَ وَدِّ الْعَامِرِيِّ

(١) حفر من الحرة الشرقية الى الحرة الغربية وهي الجهة التي كانت تؤتي المدينة من قبلها
(٢) وذلك ان الله سلط على الاعداء ريحا شديدة ليلا وجنودا لم يروها فهبت ريح الصبا
فقلعت الاوتاد والقت عليهم الابنية وكفأت القدور وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصى
فهربوا من ليلتهم . وفي البخاري : « دعا رسول الله على الاحزاب فقال : اللهم منزل
الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم »

وقد أقام المسلمون في الخندق خمسة عشر يوماً .

غزوة بني قريظة

وفيها : غزوة بني قريظة من يهود المدينة — خرج إليهم الرسول ليقضهم العهد وإظهارهم العداوة يوم الأحزاب ، ومعه ثلاثة آلاف فحاصروهم ، ثم طلبوا أن يمنحهم ما منح بني النضير فأبى ، ثم نزلوا على أن يحكم فيهم سعد بن معاذ ، فحكم فيهم بأن تقتل الرجال وتقسّم الأموال وتُسبى الذرية والنساء ، مخفراً لهم أخذود^(١) في سوق المدينة ، وضربت أعناقهم ، وكانوا ما بين ستمائة إلى سبعمائة .

ابطال عادة التبني

وفيها تزوج الرسول زينب بنت جحش ابنة عمته بعد أن طلقها مولاه زيد بن حارثة الذي كان الرسول قد تبناه^(٢) . وقد أمره الله أن يتزوجها إبطالاً لعادة التبني السيئة ، لأن العرب كانت تعتبر المتخذ ابناً كابن حقيق يورث ويورث إلى غير ذلك من أحكام البنوة ، فأراد الله أن يبطل هذه

(١) الأخدود هو شق مستطيل في الأرض (٢) أي اتخذ ابناً وكان زيد قبل ذلك رقيقاً .

العَادَةُ السَّيِّئَةُ ، فَأَمَرَ رَسُولَهُ أَنْ يُزَوِّجَ زَيْدًا بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَعْفَرٍ
فَزَوَّجَهَا مِنْهُ ، فَأَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا وَجَدَ مِنْ كِبَرِيَّاتِهَا وَعَظَمَتِهَا مَا لَمْ
يَقْدِرُ عَلَى تَحْمَلِهِ ، فَشَكَاهَا إِلَى الرَّسُولِ فَأَمَرَهُ بِأَحْتِمَالِ الصَّبْرِ
فَصَبَرَ ، إِلَى أَنْ ضَاقَتْ نَفْسُهُ ، فَأَخْبَرَهُ بِالْعِزْمِ عَلَى طَلَاقِهَا ، وَلَمَّا
كَانَتْ الْمُعَاشِرَةُ بَيْنَ مِثْلِ هَذَيْنِ الزَّوْجَيْنِ لَا تَأْتِي بِغَيْرِ النُّفُورِ
أَمَرَ اللَّهُ الرَّسُولَ بِأَنْ يَتَزَوَّجَ زَيْنَبَ بَعْدَ طَلَاقِهَا رَفْعًا لِلنِّزَاجِ
وَالشَّقَاقِ وَإِبْطَالِ الْعَادَةِ التَّبَنِّيِّ ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا يُحَرِّمُونَ مِثْلَ هَذَا
الزَّوْاجِ ، لِأَعْتِبَارِهِمْ إِيَّاهُ نِكَاحَ الْأَبِ لِطُلُقَةِ ابْنِهِ ، فَخَشِيَ
الرَّسُولُ أَنْ يُعِيرَهُ الْعَرَبُ فَيَقُولُونَ : تَزَوَّجَ مُحَمَّدٌ طُلُقَةَ ابْنِهِ ،
فَكَانَ يُخْفَى فِي نَفْسِهِ هَذَا الْأَمْرَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا بَدَّ حَاصِلٌ لِإِبْطَالِ
هَذِهِ الْعَادَةِ الصَّبِيحَةِ ، وَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ بَعْدَ زَوَاجِ النَّبِيِّ
بِزَيْنَبَ ، فَقَدْ صَارَ زَيْدٌ يُدْعَى زَيْدَ بِنِ حَارِثَةَ بَعْدَ أَنْ كَانَ يُدْعَى
زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ : « مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ
رِجَالِكُمْ ، وَاسْكِنِ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ؛ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ
أَمْرٍ عَلِيمًا »

وَأَمَّا مَا يَرَوِيهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ بَعْضُ مَنْ لَا اخْلَاقَ لَهُمْ مِنْ
أَنَّ الرَّسُولَ رَأَى زَيْنَبَ اتِّفَاقًا فَوَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ . فَلَمَّا عَلِمَ زَيْدٌ بِذَلِكَ

استشار الرسول في طلاقها رغبةً في أن يتزوجها الرسول ،
فهو من الأقوال الساقطة التي لا يروىها إلا من فقد رُشدَهُ
وأضاع عقلَهُ . ونعوذُ بالله من ذلك . وقد أبطَلَ هذا الزعم أدباً
العقل والنقل ، ومن أراد الزيادة فليرجع إلى كتاب الشفاء
للقاضى عياض ، أو إلى رسالة كتبها في هذا الموضوع شيخنا
الأستاذ الإمام المرحوم الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية (١)
على أن كلمة واحدة تكفى لرد هذا الزعم ، وهو أن النساء لم
تكن محجوبة في زمن الرسول ، فكأنه لم يرها قبل ذلك
اليوم ، أو كأنه لم يستطع أن يتزوجها قبل أن يتزوجها من
مولاه (٢) زيد بن حارثة ! إن هذا شيء عجيب !!

آية الحجاب

وفي هذه السنة : نزلت آية الحجاب ، وهو خاص بنساء
النبي ، ثم رأى جمهور علماء الأمة أن يعم غيرهن أيضاً عند
مارأوا الحاجة ماسة إلى ذلك .

(١) وهذه الرسالة معجوبة على حدة مع تفسير الفاتحة الاسنان الامام (٢) المولى
العبد الرقيق . ويكون أيضاً في غير هذا الموضع بمعنى السيد . قال الشاعر :
وهل يتساوى سادة وعبيدهم على أن أسماء الجميع مولى

فريضة الحج

وفيها : فُرِضَ الْحَجُّ عَلَى مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَإِنْ فِيهِ
مِنَ الْحِكْمِ مَا لَا يَذْرِيهِ إِلَّا ذُو بَصِيرَةٍ ، وَيَكْفِي مِنْ ذَلِكَ أَجْتِمَاعَ
الْمُسْلِمِينَ عَلَى اخْتِلَافِ الْأَجْناسِ وَاللُّغَاتِ وَالْبِلَادِ فِي مَحَلٍّ وَاحِدٍ
لِيَجِدُّوا عُهُودَ الْإِخَاءِ وَالْوَلَاءِ ، وَيَدْعُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُؤَيِّدَهُمْ
بِنَصْرِهِ ، وَيُمْكِّنَ قَوَاعِدَ الْأُمَّةِ بَيْنَهُمْ ، وَلَا يَخْفَى مَا فِي ذَلِكَ مِنْ
الْفَوَائِدِ السِّيَاسِيَّةِ وَالدِّيْنِيَّةِ الْجَلِيلَةِ الَّتِي تَعُودُ عَلَى الْأُمَّةِ بِالْخَيْرِ
الْعَمِيمِ ، إِنْ فَهِمَ السَّرُّ مِنْ هَذَا الْأَجْتِمَاعِ الْعَظِيمِ

السنة السادسة

غزوة بنى لحيان

فيها : غزوة بنى لحيان - الذين قتلوا عاصمَ بنَ ثابتٍ
وإخوانه غدرًا (١) : خَرَجَ الرَّسُولُ إِلَيْهِمْ بِمَائَتِي رَاكِبٍ . فَلَمْ
يَأْتِ أَحَدًا

(١) كان الرسول قد ارسل عشرة رجال برأسة عاصم المذكور مع رهط من عضل
والغارة ليقتلوهم وقومهم في الدين ففقدوا بهم وحرصوا عليهم بنى هذيل فقتلوا منهم
ثمانية وباعوا الاثني عشر لاهل مكة وقتلوا ايضاً

غزوة الغابة

وفيها : غزوة الغابة - خَرَجَ إليها الرَّسُولُ في خمسمائة رَجُلٍ في طَلَبِ عِيْنَةَ بَنِ حِصْنٍ وَأَرْبَعِينَ فَارِسًا مَعَهُ ، لَأَتَّهُمْ أَغَارُوا عَلَى لِقَاحٍ^(١) الرَّسُولِ وَسَلَبُوهَا وَقَتَلُوا ابْنَ أَبِي ذَرٍّ ، فَكَانَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ مُنَاوَشَاتٌ قُتِلَ فِيهَا مُسْلِمٌ وَمُشْرِكٌ . وَاسْتَنْقَدُوا عَشْرًا لِقَاحٍ . ثُمَّ رَجَعُوا .

وكان الرسول قد منّ على عيينة هدا وأعطاه أرسا إرعى فيها بهممة^(٢) فكفر النعمة . ثم إنّه يكفه أن كان مع الأحزاب يوم الخندق ، بل زاد على ذلك سلبه لِقَاحِ الرَّسُولِ .

غزوة الحديبية

وفيها : غزوة الحديبية^(٣) - خَرَجَ الرَّسُولُ مُعْتَمِرًا في ألف وأربعمائة رَجُلٍ بِلَا سِلَاحٍ إِلَّا سِلَاحَ الْمُسَافِرِ ، وَهِيَ السُّيُوفُ فِي الْأَنْعَادِ ، فَلَمَّا عَلِمَتْ قُرَيْشٌ جَمَعَتِ الْجُمُوعَ لِتَتَصَدَّهُ عَنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ .

(١) اللقاح جمع لقحة وهي لثياق ذرات اللبن القريبة العهد بالولادة (٢) البهم بفتح اوله وباتتحريك اولاد الفهم والمعرب والبقر (٣) هي بئر على مرحلة من مكة كما في البخاري وشرحه

فَمَا كَانَ الرَّسُولُ وَأَصْحَابُهُ بَعْدَ الْأَشْطَاطِ بَلَغَهُ ذَلِكَ ،
فَقَالَ أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِيٌّ ، أَتَرَوْنَ أَنَّ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ
وَذَرَارِيٍّ هُوَ لَأَيُّ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّوْنَا عَنِ الْبَيْتِ ؟ فَقَالَ
أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْتِ لَا تُرِيدُ
قَتْلَ أَحَدٍ وَلَا حَرْبَ أَحَدٍ ، فَتَوَجَّهَ لَهُ ، فَمَنْ صَدَّ نَاعَتَهُ قَاتَلْنَاهُ ،
قَالَ أَمْضُوا عَلِيَّ اسْمِ اللَّهِ

فَمَا كَانُوا بِمَنْدَةِ الْمُرَارِ بَرَكَتِ نَاقَةِ الرَّسُولِ ، فَزَجَرُوهَا
فِي تَقْمٍ . فَقَالُوا خَلَّاتِ الْقَصْوَاءُ (١) أَيَّ حَرَنْتِ ، فَقَالَ الرَّسُولُ
مَا خَلَّاتِ الْقَصْوَاءُ وَمَا ذَلِكَ لَهَا بِخَاقٍ ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ
الْفِيلِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونَنِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ
اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتَهُمْ إِيَّاهَا . ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ ، فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى
نَزَلَ بِأَقْصَى الْحَدَيْبِيَّةِ .

ثُمَّ حَصَلَ الصَّلْحُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَهُوَ الصَّلْحُ الْمَعْرُوفُ
بِصَّلْحِ الْحَدَيْبِيَّةِ ، وَلَمْ تَكُنْ حَرْبٌ ، مَعَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَوْ
قَاوَمُوا أَعْدَاءَهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَظَفَرُوا بِهِمْ ، وَاسْتَكْبَهُمْ حَافِظُوا
عَلَى حُرْمَاتِ الْبَيْتِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ حَرَمًا آمِنًا

(١) اسم ناقة الرسول . والقصواء في الاصل من الشاء والنوق : التي قطع طرف
ذنبها .

وكان الصلحُ (١) على أن توضع الحربُ بينهم عشرَ سنواتٍ
وقيلَ أربعاً (٢) وأن يأمنَ بعضهم بعضاً (٣) وأن يرجعَ عنهم
عامهم هذا (٤) وعلى أنه لا يأتيه منهم رجلٌ وإن كان على دينِ
الإسلامِ إلا ردهُ إليهم ، وأن لا يرُدُّوا إليه من جاءهم من
عنده (٥) ومن أراد أن يدخلَ في عهدِ محمدٍ من غيرِ قريشٍ دخلَ
فيه ، ومن أراد الدخولَ في عهدِ قريشٍ دخلَ فيه .

بيعة الرضوان

وفي هذه الغزاة حصلت بيعة الرضوان ، وذلك أن
الرسولَ كتب صلحَ الحديبية في كتاب وأرسله إليهم مع
عثمان بن عفان وجماعة من المسلمين . فأمسك المشركون عثمان
عندهم فشاع أنه قتل . فدعا الرسولُ الناسَ إلى البيعة تحت
الشجرة على الموت ، وقيل على أن لا يفرُّوا ، وهي الشجرة المعروفة
بشجرة الرضوان^(١) . فلما علمت قريشُ بذلك خافوا وبعثوا
بعثمان ورفقائه .

(١) قطع هذه الشجرة بعد ذلك عمر بن الخطاب في أيام خلافته لما رأى بعض المسلمين قد خصها بالصلاة تحتها ، وقال لهم : أراكم قد رجعتُم إلى وثنيَّتكم الأولى ، وقد أحسن بهذا العمل قطعاً لمرق الوثنية . ولو كان في أيامنا ورأى كثيراً من أمثالها ما كان يفعل .

وفي هذه البيعة نزل قوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ » وقوله تعالى : « لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ »
وفي هذه الغزوة نزلت سورة الفتح وهو قوله تعالى :
« إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا » السورة ، فتسلى المسلمون بذلك بعد أن ضايقتهم شروط الحديبية الجائرة ، وعلموا أنها مقدمة لفتح مكة ، وأنهم لا بد أن يدخلوها آمنين مخلقين رؤوسهم ومقصرين لا يخافون . قال ابن عباس : الفتح هنا فتح الحديبية ووقوع الصلح .

مراسلته عليه السلام للملوك

وفي هذه السنة : بعد رجوع المسلمين من الحديبية ،
راسل عليه السلام الملوك يدعوهم إلى الإسلام ، واتخذ خاتماً
من فضة فيه « محمد رسول الله »

فإنها كتبت إلى قيصر ملك الروم ، وكتاب إلى أمير
بصرى ، وكتاب إلى أمير دمشق من قبل هرقل ، وأسنه
الحارث بن أبي شمر الغساني ، وكان يقيم بغوطتها ، وكتاب

إلى المقوقس أمير مصر من قبل قيصر، وكتاب^(١) إلى النجاشي
وكتاب^(٢) إلى كسرى ملك الفرس . فلما أخذ هذا مزقه
استكباراً ، وكتاب^(٣) إلى المنذر بن ساوى ملك البحرین فأسلم
وكتاب^(٤) إلى جيفر وعبد أبي الجاندی ملكی عمان فأسلما ،
وكتاب^(٥) إلى هوذة بن علي ملك اليمامة .
أما كتابه إلى قيصر فقد جاء فيه قوله :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد بن عبد الله إلى هرقل
عظيم الروم : سلام^(٦) على من أتبع الهدى . أما أعد فإني أدعوك
بداية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتيك الله أجرك مرتين^(٧) فإن
توليت فإني أطلبك إثم الأريسيين^(٨) ، ويا أهل الكتاب
تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك
به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا
فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون » .

فلما وصل الكتاب إلى قيصر قال : أنظر والنا من قومه

(١) النجاشي لقب لمن يملك الحبشة كقيصر لمن يملك الروم وخاقان لمن يملك الترك .
ويجوز أن تشدد ياء النجاشي وتخفيفها امسح . (٢) مرة لايمانه بالنعمرانية وكتابها
ومرة لايمانه بالإسلام وكتابه . (٣) الأريسيون : جمع اريسي وهو الفلاح أي ان
توليت عما ادعوك اليه فليك ذنب اتعاطك من الفلاحين لانهم مطيعون لك فيما
تأمرهم به .

أَحَدًا نَسَأَلُهُ عَنْهُ ، وَكَانَ أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ (قَبْلَ إِسْلَامِهِ)
بِالشَّامِ مَعَ رِجَالٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي تِجَارَةٍ ، فِجَاءُوا بِهِ وَبِأَصْحَابِهِ ،
فَسَأَلَهُ قَيْصَرٌ عَنِ النَّبِيِّ وَعَنْ أَوْصَافِ هِيَ فِيهِ مِنْ صِفَاتِ
النَّبِیَّةِ ، فَأَجَابَهُ بِأَنَّهُ مُتَّعِفٌ بِهَا كُلِّهَا ، فَقَالَ لَهُ قَيْصَرٌ :

« فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمِي هَاتَيْنِ ،
وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ ، وَلَكِنْ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ
فَلَوْ أَعْلَمْتُ أَنِّي أَخْلَصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ إِقَاءَهُ ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ
لَفَسَّاتُ عَنْ قَدَمِهِ . »

السنت السابعة

غزوة خيبر

فِيهَا غَزْوَةُ خَيْبَرَ : (وَهِيَ مَدِينَةٌ ذَاتُ حُصُونٍ وَمَزَارِعٍ
تَبْعُدُ ثَمَانِيَةَ بَرَدٍ^(١) عَنِ الْمَدِينَةِ إِلَى جِهَةِ الشَّامِ ، وَكَانَتْ حُصُونَهَا
ثَلَاثَةً مُنْفَصِلَةً عَنْ بَعْضِهَا ، وَسُكَّانُهَا بَنُو النَّضِيرِ مِنَ الَّذِينَ
كَانُوا أَكْثَرَ الْأَحْزَابِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ) خَرَجَ الرَّسُولُ

(١) البرد جمع برید والبرید اثنا عشر ميلاً ، والميل من الارض ينتهي مد البصر

فِي مُحْرَمٍ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَمَعَهُ أَلْفٌ وَسِتْمِائَةٌ رَجُلٍ ، فَسَارَ حَتَّى أَتَى
خَيْبَرَ لَيْلًا ، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَوْمًا بَلِيلٍ لَمْ يَنْغِزْهُمْ حَتَّى يُصْبِحَ ،
ثُمَّ حَاصَرَهُمُ الْمُسْلِمُونَ سِتَّةَ أَيَّامٍ فَلَمْ يَنْجَحُوا .

فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ السَّابِعَةَ وَهِيَ لَيْلَةُ الْفَتْحِ قَالَ الرَّسُولُ :
لَا أُعْطِينَ الرَّأْيَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ
فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ أُعْطَاهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ
يَشْتَكِي وَجَعَ عَيْنَيْهِ ، فَتَفَرَّ الرَّسُولُ فِيهِمَا وَدَعَا لَهُ فَبِرَأً بِإِذْنِ
اللَّهِ ، فَتَوَجَّهَ عَلِيٌّ مَعَ الْمُسْلِمِينَ لِلْقِتَالِ ، وَشَدَّدَ الْحِصَارَ عَلَى
الْحِصُونِ إِلَى أَنْ فَتَحَهَا اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ ، بَعْدَ أَنْ دَافَعَ عَنْهَا أَصْحَابُهَا
دِفَاعًا شَدِيدًا أَحَبُّوا مَعَهُ الْمَوْتَ ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا غَنَائِمَ
عَظِيمَةً ، وَمِمَّا يُنْقَلُ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَاجَجَ بَابَ خَيْبَرَ وَأَقْتَلَعَهُ
وَجَعَلَهُ تُرْسًا .

حوادث

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بَعْدَ خَيْبَرَ رَجَعَ مُهَاجِرٌ وَالْحَبَشَةُ وَمَعَهُمُ
الْأَشْعَرِيُّونَ أَبُو مُوسَى وَقَوْمُهُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُمْ ، وَذَلِكَ بَعْدَ
أَنْ أَقَامُوا عَشْرَ سِنِينَ .

وفيها: فَتَحَتْ فَدَكُ^(١)، وَصَالِحَةُ أَهْلِهَا وَكَانُوا يَهُودًا عَلَى أَنْ
يَتَرَكُوا الْأَمْوَالَ وَيَحْقِنُ^(٢) دِمَاءَهُمْ .

وفيها: صَالِحُ أَهْلِ تَيْبَاءَ^(٣) عَلَى دَفْعِ الْجِزْيَةِ، وَكَانُوا مِنْ الْيَهُودِ .

غزوة وادي القرى

وفيها: غَزَوَةَ وَادِي الْقَرْيِ^(٤) دَعَا الرَّسُولُ أَهْلَهَا إِلَى
الْأَسْتِسْلَامِ فَأَبَوْا، وَقَاتَلُوا الْمُسْلِمِينَ فَكَاتَلَوْهُمْ، وَغَنِمُوا مِنْهُمْ
كَثِيرًا

وَبِأَتْقِيَادِ الْيَهُودِ الْمَجَاوِرِينَ لِلْمَدِينَةِ أَمِنَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَعْدَائِهِمْ
كَانُوا يُثِيرُونَ الْحُقُودَ وَيَهَيِّجُونَ الشُّرُورَ لِيَضْرِبُوا زِيرَانَ
الْحُرُوبِ .

عمرة القضاء

وفيها: عُمَرَةَ الْقَضَاءِ — وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا أَهَلَ ذُو الْقَعْدَةِ أَمَرَ
الرَّسُولُ أَصْحَابَهُ أَنْ يَعْتَمِرُوا قَضَاءً لِعُمَرَتِهِمْ^(٥) الَّتِي صَدَّهِمْ
الْمَشْرُكُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَأَنْ لَا يَتَخَلَّفَ أَحَدٌ مِمَّنْ شَهِدَ
الْحُدَيْبِيَّةَ، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ إِلَّا رِجَالٌ أَسْتَشْهَدُوا بِخَيْبَرَ
وَرِجَالٌ مَاتُوا .

(١) فدك حصن قريب من خيبر يبعد ست ليال عن المدينة (٢) يحقن دماءهم أي
يمنعها أن تسفك أي لا يقتلهم (٣) هي قرية على ثمان مراحل من المدينة (٤) هو قرى
بين خيبر والشام (٥) العمرة من أعمال الحج

ثُمَّ سَارَ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى مَرِّ الظَّهْرَانِ (١) . فَعَلِمَتْ
قُرَيْشٌ بِذَلِكَ نَخَفُوا ، فَأَرْسَلُوا فِتْيَانًا مِنْهُمْ إِلَى الرَّسُولِ ، فَقَالُوا :
يَا مُحَمَّدُ مَا عُرِفْتَ بِالغَدْرِ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا ، وَإِنَّا لَمْ نُحَدِّثْ
حَدَّثًا ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ يُرِيدُ العُمْرَةَ لِاقْتَالِهِمْ
وَلَمَّا قَرَّبَ الْمَسْلَمُونَ مِنْ مَكَّةَ خَرَجَ الْمُشْرِكُونَ مِنْهَا إِلَى
رُؤُوسِ الجِبَالِ كَرَاهِيَةً أَنْ يَرَوْا الْمَسْلَمِينَ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ
الْحَرَامِ .

ثُمَّ رَجَعَ الرَّسُولُ وَالْمُسْلِمُونَ بَعْدَ أَنْ أَقَامُوا فِي مَكَّةَ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ .

حوادث

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ : أَسْلَمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ
وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ بَعْدَ أَنْ كَانُوا قَادَةَ الْجِيُوشِ ضِدَّ الْمَسْلَمِينَ .
وَفِيهَا : تَزَوَّجَ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَفِيَّةَ بِنْتَ حَيِّ بْنِ أَخْطَبَ
سَيِّدِ بَنِي النَّضِيرِ ، وَكَانَتْ فِي السَّبْئِ يَوْمَ خَيْبَرَ .

وَفِيهَا : تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ زَوْجَ عَمِّهِ حَمْزَةَ شَهِيدِ
أَحُدٍ ، وَهِيَ آخِرُ نِسَائِهِ زَوَاجًا .

(١) هو موضع على مرحلة من مكة

السنة الثامنة

واقعة مؤتة

فيها واقعة مؤتة (وهي من عمل البلقاء بالشام) وكان قد قُتل فيها الرسول الذي أرسله عليه السلام إلى أمير بصرى ، ففي شهر مجادى الأولى من هذه السنة جهز الرسول جيشاً للقصاص ممن قتلوه ، وكان عدده ثلاثة آلاف رجل ، وأمر عليهم زيد بن حارثة ، وقال لهم : إن قتل زيد فلا مير جعفر وإن قتل جعفر فعبد الله بن روضة ، ثم أوصاهم بوصايا منها : أنهم سيجدون رجالاً حبسوا أنفسهم في الصوامع فلا يتعرضوا لهم ، ولا يقتلوا امرأة ولا صغيراً ولا فانياً ، ولا يقطعوا شجراً .

ثم سار زيد بالجيش حتى وصلوا إلى مؤتة ، فوجدوا الروم مجتمعين لهم قريباً من مائة وخمسين ألف مقاتل ، ومعهم من الأعداء والذخائر ما لا قبل لأحد به ، فقاتلهم وقتل زيد حتى قتل ، فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب ، فقاتل حتى قطعت يمينه ، فأخذها شماله فقطعت فأحتضنها فقتل ، فأخذها

عَبْدُ اللَّهِ فَتُبِلَ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ كَادَ الْمَسَامُونَ يَنْكَسِرُونَ لَوْلَا أَنَّ
أَمَرُوا عَلَيْهِمُ الشَّهْمَ الْهَمَامَ الْبَاسِلَ خَالِدَ بْنِ الْوَلِيدِ ، فَقَاتَلَ
الْأَعْدَاءَ حَتَّى قَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً وَأَصَابَ غَنِيمَةً . وَخَاصَّ
هَذَا الْجَيْشَ الْقَلِيلَ مِنْ مَخَالِبِ الْأَعْدَاءِ الَّتِي لَا تُحْصَى بِتَكَايِدِهِ
الْحَرْبِيَّةِ .

ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَدْ أَثْنَى النَّبِيُّ عَلَى خَالِدٍ .
وَيُرْوَى أَنَّ يَعْلَى بْنَ أُمَيَّةَ قَدِمَ بِخَبْرٍ أَهْلَ مُؤْتَةَ ، فَقَالَ لَهُ
الرَّسُولُ : إِنْ سِئْتَ فَأَخْبِرْنِي وَإِنْ سِئْتَ أَخْبِرْتِكَ . فَقَالَ :
أَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُمْ ، فَقَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ
بِالْحَقِّ ، مَا تَرَكَتَ مِنْ حَدِيثِهِمْ حَرْفًا تَذْكُرُهُ .

فتح مكة

وفيها : غزوة الفتح الأعظم فتح مكة ، وذلك أن
قُرَيْشًا تَقَضَّتْ شَرْطًا مِنْ شُرُوطِ الْحَدِيثِيَّةِ ، لِأَنَّهُمْ أَعَانُوا بَكْرًا
الَّتِي دَخَلَتْ فِي عَهْدِهِمْ عَلَى خُزَاعَةَ الَّتِي دَخَلَتْ فِي عَهْدِ الرَّسُولِ ،
وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا خُزَاعِيًّا ضَرَبَ بَكْرِيًّا لِأَنَّهُ سَمِعَهُ يَهْجُو
رَسُولَ اللَّهِ ، فَعَزَمَ بَنُو بَكْرِ عَلَى مُحَارَبَةِ خُزَاعَةَ ، وَطَلَبُوا
النَّجْدَةَ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَأَعَانُوهُمْ سِرًّا ، وَدَهَمُوا خُزَاعَةَ عَلَى حِينِ

غَفْلَةٍ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَا يَزِيدُ عَلَى الْعَشْرِينَ ، فَلَمَّا أَعْلَمُوا الرَّسُولَ
بِذَلِكَ قَالَ لَا مَنَعَكُمْ مِمَّا أَمْنَعُ مِنْهُ نَفْسِي .

ثُمَّ إِنَّ قُرَيْشًا نَدِمَتْ عَلَى مَا فَعَلَتْ حِينَ لَا يَنْفَعُهَا النَّدَمُ .
فَأَرْسَلُوا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُجَدِّدَ عَهْدَ الْحُدَيْبِيَّةِ
وَيَزِيدَ فِي الْمَدَّةِ ، فَأَتَى النَّبِيَّ فِي الْمَسْجِدِ وَعَرَضَ عَلَيْهِ مَا جَاءَ لِأَجْلِهِ
فَقَالَ الرَّسُولُ : هَلْ كَانَ مِنْ حَدَثٍ : قَالَ : لَا ، فَقَالَ فَتَحْنُ عَلَى
مُدَّتِنَا وَصَلَحِنَا ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ ، فَرَجَعَ أَبُو سُفْيَانَ بِخَفَى
حُزْنٍ (١) .

أَمَّا الرَّسُولُ فَإِنَّهُ تَجَهَّزَ لِلسَّفَرِ ، وَبَعَثَ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ مِنَ
العَرَبِ ، وَهُمْ أَسْلَمٌ وَغَفَارٌ وَمَزِينَةٌ وَجُهَيْنَةٌ وَأَشْجَعٌ وَسُلَيْمٌ ،
وَطَوَى الْأَخْبَارَ عَنِ الْجَيْشِ كَيْلًا تَعْلَمُ قُرَيْشٌ .

ثُمَّ سَارَ بِالْجَيْشِ وَكَانَ عَشْرَةَ آلَافٍ مُجَاهِدٍ ، وَذَلِكَ
فِي رَمَضَانَ .

وَلَقِيَهُ فِي الطَّرِيقِ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ بِأَهْلِهِ
مُسْلِمًا ، وَلَقِيَهُ أَيْضًا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ
ابْنُ عَمِّ الرَّسُولِ وَأَخُوهُ مِنْ رِضَاعِ حَلِيمَةَ ، وَمَعَهُ وَلَدُهُ جَعْفَرٌ
فَأَسْلَمَا ، وَفِي الطَّرِيقِ أَيْضًا أَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ ، وَكَانَ

(١) مثل يضرب للخائب

قَدْ جَاءَ يَتَجَسَّسُ أَخْبَارَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَسْرَهُ
حَارِسُ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ .

وَجَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَمَّا سَارَ عَامَ الْفَتْحِ فَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ وَحَكِيمُ
ابْنُ حِزَامٍ وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ يَلْتَمِسُونَ الْخَبَرَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبَلُوا يَسِيرُونَ حَتَّى أَتَوْا مَرَّةَ الظَّهْرَانِ ^(١)

فَإِذَا هُمْ بِبَيْرَانَ كَانَتْهَا بَيْرَانَ عَرْفَةَ ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : مَا هَذِهِ
النَّيْرَانُ : لَكَانَتْهَا بَيْرَانَ عَرْفَةَ ، فَقَالَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ : بَيْرَانَ
بَنِي عَمْرٍو ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : عَمْرُو أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ ، فَرَأَاهُمْ نَاسٌ
مِنْ حَارِسِ رَسُولِ اللَّهِ فَأَدْرَكَوهُمْ فَأَخَذُوهُمْ فَأَتَوْا بِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ . فَلَمَّا سَارَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ :
أَحْبِسْ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ حَظْمِ ^(٢) الْخَيْلِ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ،
فَحَبَسَهُ الْعَبَّاسُ ، فَجَعَلَتْ الْقِبَائِلُ تَمُرُّ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كَتَيْبَةً كَتَيْبَةً ^(٣) عَلَى أَبِي سُفْيَانَ ، فَمَرَّتْ كَتَيْبَةٌ قَالَ : يَا عَبَّاسُ
مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَ : هَذِهِ غَفَّارٌ ، قَالَ : مَا لِي وَلِغَفَّارٍ ، ثُمَّ مَرَّتْ كَتَيْبَةٌ

(١) مر الظهران : واد قرب مكة (٢) أى فى الموضع المتضايق الذى تتحطم فيه الخيل
أى يدوس بعضها بعضا ويروح بعضها بعضا فيراها جميعها وتكثر فى عينه بمرورها فى ذلك
الموضع الضيق (٣) الكتيبة الجيش او جماعة الخيل من المائة الى الالف

جُهَيْنَةَ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ مَرَّتْ سَعْدُ بْنُ هُذَيْمٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ،
ثُمَّ مَرَّتْ سُلَيْمٌ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ، حَتَّى أَقْبَلَتْ كَتِيبَةَ لَمْ يَرَ
مِثْلَهَا ، قَالَ : مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَ : هُوَ لَأَبِ الْأَنْصَارِ عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ
عُبَادَةَ مَعَهُ الرَّايَةُ ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ : يَا أَبَا سَفْيَانَ ، الْيَوْمَ
يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ ، فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ : يَا عَبَّاسُ
حَبِّدَا يَوْمَ الدِّمَارِ ، ثُمَّ جَاءَتْ كَتِيبَةُ وَهِيَ أَقْلُ الْكُتَائِبِ ،
فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ وَرَايَةُ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَبِي سَفْيَانَ قَالَ : أَلَمْ تَعْلَمْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ؟
قَالَ : مَا قَالَ ؟ قَالَ : قَالَ : كَذًا وَكَذَا ، فَقَالَ : كَذَبَ سَعْدُ ،
وَلَكِنَّ هَذَا يَوْمٌ يُعَظَّمُ اللَّهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ
الْكَعْبَةُ .

ثُمَّ سَارَ الرَّسُولُ وَمَنْ مَعَهُ وَأَرْسَلَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِمَنْ
مَعَهُ لِيَدْخُلَ مَكَّةَ مِنْ أَعْلَاهَا ، وَأَمْرُهُ أَنْ لَا يُقَاتِلَ إِلَّا مَنْ
قَاتَلَهُ ، وَدَخَلَ الرَّسُولُ مِنْ أَسْفَلِهَا ، فَأَنْدَفَعَ خَالِدٌ فَصَدَّهُ رِجَالٌ
مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَاتَلَهُمْ وَهَزَمَهُمْ .

ثُمَّ آمَنَ الرَّسُولُ أَهْلَ مَكَّةَ وَنَادَى مُنَادٍ بِأَمْرِ الرَّسُولِ :

مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ
آمِنٌ ، وَمَنْ أَغَاقَ عَلَيْهِ بَابُهُ فَهُوَ آمِنٌ ، إِلَّا أَشْخَاصًا أَهْدَرَ
دَمَهُمْ لِمَسَاوِيهِمْ الَّتِي لَا تُحْصَى . فَمِنْهُمْ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ وَعِكْرَمَةُ
ابْنُ أَبِي جَهْلٍ ، وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي
سَرْحٍ الَّذِي كَانَ كَاتِبَ الْوَحْيِ ثُمَّ أُرْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَفْتَرَى
الْكُذِبَ عَلَى الرَّسُولِ ، وَمِنْهُمْ وَحْشِيُّ قَاتِلُ حَمْزَةَ ، وَهِنْدُ بِنْتُ
عُتْبَةَ زَوْجُ أَبِي سُفْيَانَ .

وَفِي الْبُخَارِيِّ : « دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ
الْفَتْحِ وَحَوْلَ الْكَعْبَةِ سِتُونَ وَثَلَاثًا نُصِبَ (صَنِم) فَجَعَلَ
يَطْعُمُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ : جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، جَاءَ
الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ » .

ثُمَّ أَمَرَ بِالْآلِهَةِ فَأُخْرِجَتْ مِنَ الْبَيْتِ وَفِيهَا صُورَتَا إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ ، وَبِذَلِكَ طَهَّرَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ مِنْ هَذِهِ
الْمَعْبُودَاتِ الْبَاطِلَةِ ، وَأَسْتَبَدَلَ بِهَا عِبَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ ، ثُمَّ
دَخَلَ الْكَعْبَةَ وَكَبَّرَ فِي نَوَاحِيهَا ، ثُمَّ أَخْرَجَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ
وَصَلَّى فِيهِ ، ثُمَّ شَرِبَ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ .

ثُمَّ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ وَالْأَبْصَارُ خَاشِعَةٌ إِلَيْهِ لِتَرَى مَا هُوَ

فَاعِلٌ بِمُشْرِكِي مَكَّةَ أَعْدَائِهِ الَّذِينَ آذَوْهُ وَأَخْرَجُوهُ مِنْ بِلَادِهِ
وَهُمْ أَوْ بَقْتَلَهُ مِرَارًا وَقَاتَلُوهُ ، ثُمَّ قَامَ بِهِمْ خَطِيبًا فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى
عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ . ثُمَّ قَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ
مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَهِيَ حَرَامٌ بِحِرْمَةِ اللَّهِ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرِي ۖ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا ، أَوْ يَعْضِدَ (يَقَطْعَ) بِهَا شَجَرَةً ، فَإِنْ أَحَدٌ
تَرَخَّصَ فِيهَا لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ فَقُولُوا : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أذِنَ لِرَسُولِهِ
وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ ، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ ، وَقَدْ عَادَتْ
حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ ، فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ » .
ثُمَّ قَالَ :

« يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟ قَالُوا : خَيْرًا ،
أَخٌ كَرِيمٌ وَأَبْنٌ أَخٌ كَرِيمٌ ، قَالَ أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ » أَيْ
الَّذِينَ أُطْلِقُوا فَلَمْ يُسْتَرْقُوا وَلَمْ يُؤَسَّرُوا .

ثُمَّ ابْتَدَأَ النَّاسُ يُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَمِمَّنْ
أَسْلَمَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَأَبُو قُحَافَةَ وَالذُّ
أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَجَاءَهُ رَجُلٌ يَرْتَعِدُ خَوْفًا فَقَالَ لَهُ : « هَوْنٌ

عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ أُمْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ
تَأْكُلُ الْقَدِيدَ .»

وَمَا تَمَّتْ بَيْعَةُ الرِّجَالِ بِأَيْعَةِ النِّسَاءِ ، وَكُنَّ يُبَايِعُنَّهُ عَلَى أَنْ
لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا يَسْرِقْنَ ، وَلَا يَزْنِينَ ، وَلَا يَقْتُلْنَ
أَوْلَادَهُنَّ ، وَلَا يَأْتِينَ بِبَهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ
وَلَا يَعْصِينَ الرَّسُولَ فِي مَعْرُوفٍ .

ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا أَنْ يُؤَدِّنَ عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ فَأَدَّنَ .
ثُمَّ أَرْسَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ السَّرَايَا لِهَدْمِ أَصْنَامِ الْقَبَائِلِ ،
فَهَدَّمَتِ الْعُزْزَى ، وَهِيَ أَعْظَمُ صَنَمٍ لِقُرَيْشٍ فِي نَخْلَةَ ، ثُمَّ هَدَّمَتِ
سُوعًا ، وَهُوَ صَنَمٌ كَبِيرٌ لِهَذِيلٍ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ ، ثُمَّ
هَدَّمَتِ مَنَاةَ ، وَهُوَ صَنَمٌ لِكَابٍ وَخَزَاعَةَ فِي الْمَشَالِ (١) .

أَمَّا الَّذِينَ أَهْدَرَ دِمَهُمُ الرَّسُولُ فَهُمْ مَنْ قُتِلَ وَمِنْهُمْ مَنْ
عَزَّتْ عَلَيْهِ الْحِيلُ وَصَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ حَتَّى جَعَلَ
اللَّهُ لَهُ مَخْرَجًا فَأَسْلَمَ ، مِنْهُمْ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَهَبَارُ بْنُ
الْأَسْوَدِ ، وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ، وَأَسْلَمَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ وَزُهَيْرُ
ابْنِ أَبِي أُمَيَّةَ الْخَزَوِيِّ بَعْدَ أَنْ أَجَارَتْهُمَا أُمُّ هَانِيَةَ بِنْتُ أَبِي

(١) هو جبل على ساحل البحر يهبط عنه الى قديد .

طالب ، فأجاز الرسولُ جوارها وقال : إننا قد أجرنا من أجرتِ
يا أم هانئ ، وأسلم عبدُ الله بنُ سعد بن أبي سرح ، وقد
أعرض عنه الرسولُ مراراً لخيانته وعدم ثباته على مبدئه وكذبه
على الله ورسوله ، وأسامت هندُ زوجُ أبي سفيان ، وأسلم
كعب بنُ زهير ، وأنشده قصيدته التي يقول في مطلعها :

بانت سعادُ قباي اليوم متبولٌ مقيمٌ إثرها نيةٌ يفد مكبولٌ
ومنها في مدحه عليه السلام :

إن الرسولَ لسيفٌ يُستضاء به

مُهَنَّدٌ من سُيوفِ اللهِ مَسْلُوبٌ

ولما قال هذا البيت خلع الرسولُ عليه بُردته ، ولذا تسمى

هذه القصيدة بقصيدة البردة^(١) .

قصة وحشي قاتل حمزة

وأما وحشي قاتل حمزة الذي أهدر الرسولُ دمه مع من

أهدر فكان من حديثه ما رواه البخاري : « قال وحشي بعد

أن حكي مقتل حمزة ، فاهتما رجوع الناس رجعت معهم ، فأقت

بمكة حتى فشا فيها الإسلام ، ثم خرجت إلى الطائف فأرسلوا

(١) وقد اشترى مزارية بن أبي سفيان أيام خلافته هذه البردة من أبناء كعب ثم صار

يتوارثها الملوك والحلفاء حتى وقعت للترك من ملوك بني عثمان .

إلى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا فَقِيلَ لِي: إِنَّهُ لَا يَهِيجُ
الرُّسُلَ (أَيُّ لَا يَنَالُهُمْ مِنْهُ مَكْرُوهٌ) قَالَ: نَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى
قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَأَى أَنِي قَالَ: أَنْتَ
وَحْشِي؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْرَةَ؟ قُلْتُ: قَدْ كَانَ
مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ بَلَغَكَ، قَالَ: فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ
عَنِّي؟ قَالَ: نَخَرَجْتُ. فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَخَرَجَ مُسَيِّمَةَ الْكُذَّابِ، فَقُلْتُ لِأَخْرُجَنِي إِلَى مُسَيِّمَةَ لَعَلِّي
أَقْتُلُهُ فَأُكَافِيءَ بِهِ حَمْرَةَ. قَالَ: نَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ فَكَانَ مِنْ
أَمْرِهِ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ قَامَ فِي ثَلْمَةٍ (١) جِدَارٍ كَأَنَّهُ جَمَلٌ
أَوْرَقٌ (٢)، نَائِرَ الرَّأْسِ، فَرَمَيْتُهُ بِحَرَابِي فَأَضَعَهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ
حَتَّى خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ. قَالَ: وَوُثِبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ
الْأَنْصَارِ فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ «

واقعة حنين

وفبرها: غزوة حنين — سارَ إليها الرسولُ قبلَ أن يَرَجِعَ
مِنَ فَتْحِ مَكَّةَ وَمَعَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ مِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْأَنْفَانِ
مَنْ أَسْلَمَ يَوْمَ الْفَتْحِ، يَرِيدُ قَبِيلَتِي ثَقِيفٍ وَهُوَ أَزْنٌ لَأَهْلِهِمْ

(١) الثلمة فرجة في الخائط وغيره من خلل أو هدم (٢) أورق: أسمر كلرماد.

جَمَعُوا الْجَمُوعَ لِحَرْبِهِ ، وَخَرَجَ مَعَهُ أَيْضًا ثَمَانُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
وَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى حُنَيْنٍ سَمِعَ الرَّسُولُ رُجْلًا يَقُولُ : لَنْ نُغْلِبَ
الْيَوْمَ مِنْ قَلَّةٍ ، وَأَعْجِبَ الْمُسْلِمُونَ بِكَثْرَتِهِمْ ، فَصَعَبَ ذَلِكَ عَلَى
الرَّسُولِ . ثُمَّ اتَّقَوْا بِالْعَدُوِّ ، وَكَانَ عَلَى جَانِبِ عَظِيمٍ مِنَ
السَّكْرَةِ ، وَكَانَ كَامِنًا لَهُمْ فِي مَضِيقِ الْوَادِي ، فَقَابَلَهُمْ بِنَبْلِ
كَالْجَرَادِ الْمُنْتَشِرِ ، وَكَانَ يَوْمًا هَائِلًا ، فَدَهَشَ الْمُسْلِمُونَ وَأَنْهَزَمُوا
وَلَمْ يَنْتَبِتْ مَعَ الرَّسُولِ إِلَّا جَمَاعَةٌ ، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ
وَالْعَبَّاسُ وَأَبُو سَفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ ابْنِ عَمِّ الرَّسُولِ .

كُلُّ ذَلِكَ وَالنَّبِيُّ واقِفٌ فِي ذَلِكَ الْمُعْتَرِكِ الضَّنْكِ وَالْمَأْزِقِ
الْحَرْجِ ، ثَابِتَ الْجَأَشِ قَوِيَّ الْجُنَانِ ، وَهُوَ يَقُولُ : أَنَا النَّبِيُّ
لَا كَذِبَ ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ .

ثُمَّ نَادَى الْعَبَّاسُ الْأَنْصَارَ بِأَمْرِ الرَّسُولِ ، وَكَانَ جَهْوَرِيَّ
الصَّوْتِ ، فَأَنْعَطَفُوا عَلَى النَّبِيِّ كَأَنَّهُمُ الْإِبِلُ ، وَقَدْ حَنَّتْ إِلَى
أَوْلَادِهَا ، وَدَفَعُوا عَنْهُ وَصَدَقُوا الْجَمَلَةَ ، وَقَاتَلُوا الْأَعْدَاءَ قِتَالًا
شَدِيدًا حَتَّى هَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ « وَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى
رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا » وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ .
وَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِينَ ، وَأُسِرَ مِنْهُمْ

كثيراً ، وأخذ المسلمون نساءهم وذرائعهم وأموالهم ، وقتل
من المسلمين أربعة .

وأسلم كثير من أهل مكة الذين كانوا مع المسلمين
في هذه الغزوة ، بعد أن فرحوا بانكسارهم واستهزؤا بهم ،
وذلك لما رأوه من عناية الله بالمسلمين ، ونصره إيّاهم بعد أن
ولوا الأديبار وأنهمزوا شر هزيمة .

ومن تأمل في هذا الانكسار الذي حصل للمسلمين أول
الامر يجد أن مصدره شيطان مهيمان : الأول الاغترار
بالكثرة والافتخار بوفرة العدد وعدم الاتكال في النصر على
الناصر الحقيقي ، وهو يستدعي الثبات أمام العقبات وتحمل
الصددمات والصبر إن ألمت ملمات ، وإلى ذلك الإشارة بقوله
تعالى : « وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَنِ تُغْنِي عَنْكُمْ
مِنَ اللَّهِ شَيْئًا » الثاني : أن الجيش كان أخلاطاً من المشركين
والأعراب وممن كانوا أحديث عهد بالإسلام ، وهو لا لا بهمهم
انتصار المسلمين وانكسارهم ، فلا يدافعون عن الإسلام حق
المدافعة كمن يقاتل مخلصاً دفاعاً عن دينه في سبيل الله معتقداً
أن الفرار يوم الزحف من الكبائر يعدبه الله عليه عذاباً شديداً

غزوة الطائف

وفيها : غزوة الطائف — سارَ إليها الرسولُ بمنَ كانَ معه يومَ حنينٍ لطلبِ الفارِّينَ ، فوجدَهم قد تحصَّنوا وتزوَّدوا بما يكفيهم قوتَ سنةٍ ، فماتَ رأوا المسلمينَ نضجُوهم بالشَّمالِ نضجاً شديداً فأصيبَ منهم كثيرٌ ، وماتَ اثنا عشرَ رجلاً بالجراحِ وبقيَ الحِصارُ تسعةَ عشرَ يوماً ، فلم يُغنِ ذلكَ شيئاً . ثم أنصَرَفَ الرسولُ بمنَ معه ، ودَجَعَ إلى الجِعْرانةِ حيثُ تَرَكَ سبيَ حنينٍ .

وفود هوازن

ودجوع النبي إلى المدينة

وبعدَ أيامٍ أتى الرسولَ وفودُ هوازنِ مسلمينَ خيَّرَهم بينَ السَّبيِّ والمالِ ، فاختاروا السَّبيَّ وتركوا الأموالَ .
وبعدَ أن أقامَ الرسولُ بالجِعْرانةِ ثلاثَ عشرةَ ليلةً أُحْرِمَ منها بعُمرةٍ ودخلَ مكةَ ليلاً ، فطافَ وأستلمَ الحجرَ ، ورجعَ بالجيشِ من ليلتهِ إلى المدينةِ ، وكانَ غيابهُ عنها شهرينِ وستةَ عشرَ يوماً .

وبهذا الفتحِ الأعظمِ فتحَ مكةَ دانتَ للإسلامِ جُموعُ

الشرك، وانحلت عراهم، ووهنت قواهم، وأذهب الله ظلامهم
ببزوغ شمس الإسلام على ربوعهم.

السنة التاسعة

سفانة وعدى

في هذه السنة أرسل الرسول على بن أبي طالب رضى
الله عنه في مائة وخمسين فارساً إلى الفليس وهو صنم طي،
فسار إليه وهدمه وأخرقه، وقاتل عباده وهزمهم وغنم سبياً
ونعماء وشاء، وكان في السبي سفانة بنت حاتم الطائي الكريم
الشهير، فلما رجعوا إلى المدينة من الرسول على سفانة بإطلاق
أسرها، فدعت له بخير، وكان من دعائها: «شكرتك يد
افتقرت بعد غنى، ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر،
وأصاب بمعروفك مواضعه، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة،
ولا سلب نعمة كريم إلا وجعلك سبياً لردّها عليه».

أما أخوها عدى فإنه هرب إلى الشام لما رأى المسلمين
قد دخلت بلاده، فلما أطلق الرسول سفانة أختة ذهبته إليه

وَأَخْبَرَتْهُ بِمَا عَامَلَهَا بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْكُرْمِ وَأَشَارَتْ عَلَيْهِ
أَنْ يَذْهَبَ إِلَيْهِ وَيَتَّبِعَهُ ، وَقَالَتْ : « إِنْ يَكُنْ نَبِيًّا فَلِلْسَابِقِ إِلَيْهِ
فَضْلٌ ، وَإِنْ يَكُنْ مَا كَأَنْتَ أَنْتَ » نَخْرَجُ حَتَّى جَاءَ الْمَدِينَةَ ،
وَلَقِيَ الرَّسُولَ ، وَكَلَّمَهُ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ عَدِيَّ بْنَ حَاطِمٍ ، فَأَخَذَهُ
الرَّسُولُ إِلَى بَيْتِهِ ، فَلَمَّا كَانَا فِي الطَّرِيقِ أَوْقَفَتِ الرَّسُولَ عَجُوزٌ
فَانِيَةٌ وَقُوفًا طَوِيلًا تُكَلِّمُهُ فِي حَاجَةٍ لَهَا ، فَلَمَّا رَأَى عَدِيٌّ ذَلِكَ
قَالَ وَاللَّهِ مَا هُوَ بِمَلِكٍ ، فَلَمَّا أَتَى الْبَيْتَ قَالَ لَهُ الرَّسُولُ : يَا عَدِيُّ :
أَسْلَمَ تَسْلَمٌ ، قَالَهَا ثَلَاثًا ، فَقَالَ عَدِيٌّ : إِنْ عَلِيٌّ دِينٌ ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا
فَقَالَ : أَنَا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ ، وَنَصَحَ لَهُ الرَّسُولُ وَوَعَّظَهُ ،
فَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ .

غزوة تبوك

فِيهَا غَزْوَةُ تَبُوكَ^(١) ، وَتُعْرَفُ أَيْضًا بِغَزْوَةِ الْعُسْرَةِ ، لِأَنَّهَا
كَانَتْ فِي زَمَنِ عُسْرَةِ النَّاسِ وَجَدِبَ^(٢) الْأَرْضَ شِدَّةَ الْحَرِّ ،
فِي وَقْتٍ تُحِبُّ النَّاسُ فِيهِ الرَّاحَةَ وَالِدَّعَةَ^(٣) وَقَدْ طَابَتِ الظُّلُمُ
وَالثَّمَارُ ، وَقَدْ اسْتَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ فِيهَا سَفْرًا بَعِيدًا ، وَمَفَاوِزَ^(٤)

(١) تبوك : مكان معروف في منتصف الطريق بين المدينة ودمشق (٢) الجدب

القحط (٣) السكون (٤) جمع مفازة وهي الغلاة المهلكة .

مهلكة ، وعدوا كثيراً ، حتى إنهم كانوا ينحرون البعير
فيشربون ما في كرشه من الماء ، فكانت العسرة في الماء والظهر
والنفقة .

وسببها أن الروم جمعت الجوع بالشام مع هرقل تريد
غزو المسلمين في بلادهم ، فعلم الرسول بذلك ، فجمع الجوع
من مكة والمدينة وقبائل العرب ، وطلب من المؤسرين^(١)
تجهيز العسرين^(٢) . فجاء عثمان بن عفان بعشرة آلاف دينار
وثلاثمائة بعير بأحلاسها^(٣) وأقتابها^(٤) وخمسين فرساً . فدعا
له الرسول صلى الله عليه وسلم بخير . وجاء أبو بكر بكل ماله
وهو أربعة آلاف درهم ، وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله
وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائتي أوقية ، وجاء العباس
وظلحة بمال كثير ، وتصدق عاصم بن عدي بتسعين وسقاً^(٥)
من تمر ، وأرسل النساء بكل ما قدرن عليه من حليهن . ثم
جهز عثمان والعباس أيضاً ويامين بن عمرو وقوماً آخرين جاءوا
إلى الرسول يسألونه الحملان . فقال لهم : لا أجد ما أحملكم ،

(١) الاغنياء (٢) الفقراء (٣) الأحلاس جمع حلس وهو ما يوضع على ظهر الدابة
تحت الرجل أو البرذعة أو السرج (٤) الاقتاب جمع قتب وهو الرجل أو البرذعة
(٥) الوسق حمل البعير أو ستون صاعاً .

وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: «تَرَلُّوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ»؛

ولما تاهب الرسول للخروج قال قوم ^{حزبهم} من المنافقين لا تنفروا في الحرِّ فانزل الله تعالى فيهم: «وقالوا لا تنفروا في الحرِّ، قل: نار جهنم أشدُّ حرًّا لو كانوا يفقهون». وجاءه ^ع المَعْدِرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ (وَهُمْ أَصْحَابُ الْأَعْذَارِ مِنْ ضَعْفِ قَلَّةٍ) يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي التَّخَلُّفِ عَنْهُ فَأَذِنَ لَهُمْ، وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ وَثَمَانِينَ رَجُلًا، وَقَعَدَ آخَرُونَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بغيرِ مُعْذَرٍ بِرَأْسِهِمْ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أَبِي. وَهُمْ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: « وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ » وَتَخَلَّفَ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا أَرْتِيَابٍ، وَقَدْ اسْتَأْذَنَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَأَذِنَ لَهُمْ، وَقَدْ عَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْإِذْنِ لَهُمْ بِقَوْلِهِ: « عَفَا اللَّهُ عَنْكَ، لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعِنَا لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ، إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ، وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً، وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ

القاعدين . لو خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا^(١) وَلَا وَضَعُوا
خِلَالَكُمْ^(٢) يَبْغُونَ نَفْسَ الْفِتْنَةِ ، وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالظَّالِمِينَ .

وَأَسْتَخْلَفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَدِينَةِ وَأَهْلَهُ عَلَى بَنِ أَبِي
طَالِبٍ ، وَقِيلَ بَلِ اسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَعَلَى
أَهْلِهِ عَلِيًّا ، فَقَالَ عَلِيٌّ أَتُخَلِّفُنِي عَلَى الصَّبِيَّانِ وَالنِّسَاءِ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ : « أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مَتَى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى
إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي : » .

ثُمَّ سَارَ الرَّسُولُ بِالْجَيْشِ ، وَكَانَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا ، فَمَا كَانُوا
فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ ضَلَّتْ^(٣) نَاقَةُ الرَّسُولِ ، فَقَالَ بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ :
يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَلَا يَدْرِي أَيَّنَ نَاقَتُهُ ، فَأَطْلَعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عَلَى
مَا قَالَهُ . فَقَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَقَدْ دَلَّنِي اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا ، وَهِيَ فِي الْوَادِي
فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا . »
فَمَا وَصَلُوا إِلَى تَبُوكَ لَمْ يَرَوْا فِيهَا جَيْشًا كَمَا كَانُوا قَدْ سَمِعُوا .

(١) أى فساداً وشرأ (٢) أى أسرعوا بينكم بالهيمه والفساد والتخويف . يقال
فى الاصل وضع البعير اذا أسرع واوضعه راكبه اذا حمله على الاسراع وقد استميرهننا
للاسراع بالفساد والشر (٣) ضاعت

وقبل أنصرافه من تبوك جاءه يوحنا صاحب أيلة ومعه أهل
جرباء وأذرح ومينياء، وهى بلاد بالشام فصالحوه وأعطوه
الجزية، وكتب لهم كتاباً فيه أمان لهم ولأموالهم
ولأزواجهم ما داموا على الصلح والعهد.

ثم استشار الرسول أصحابه فى أن يجاوز تبوك إلى ما هو
أبعد منها من ديار الشام، فقال عمر: إن كنت أمرت بالسير
فسير، فقال عليه السلام، لو كنت أمرت بالسير لم أستشر
ثم رجعوا من تبوك بعد أن أقاموا بها عشرين ليلة، ولم
يكن حرب، وبني فى طريقه مساجد.

فلما دنا من المدينة قال الرسول تطيبوا لقلوب المعدرين
(وهم الذين حبسهم العذر الشرعى عن الخروج مع النبي:
« إن فى المدينة قوماً ما سيرتم سيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا
معكم حبسهم العذر »).

ولما دخل الرسول المدينة قال العباس: أتأذن لى أن
أمدحك؟ قال: قل لا يفيض الله فاك — فقال قصيدة منها:
وأنت لما ولدت أشرق — الأرض وضأت بنورك الأفق
فنحن فى ذلك الضياء وفى — النور وسبل الرشاد تخترق

حوادث وحج أبي بكر بالناس

وفبها : وقد على الرسول وقد من ثقيف فأسلموا ودعوا قومهم أهل الطائف فأجابوا .
وفي ذى القعدة من هذه السنة أمر الرسول أبا بكر أن يحج بالناس ، وأمره أن يؤذن بالناس يوم النحر : أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف في البيت عريان ، فلما سار بالناس نزل على الرسول أوائل سورة (براءة) فأرسل على بن أبي طالب ليبلغها للناس يوم الحج الأكبر وقال : لا يبلغ عنى إلا رجل منى . وخواها : نبذ اليهود لجميع المشركين الذين لم يوفوا بعهودهم ، وإمهالهم أربعة أشهر يسبحون فيها في الأرض كيف شاءوا ، وإتمام العهود للمشركين الذين لم يتظاهروا ضد المسلمين إلى مدنه ، وأنزل الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » . فلم يحج في العام القابل مشرك ، وكان على أن يصلى في هذا السفر وراء أبي بكر رضي الله عنهما .

وفبها : توفي عبد الله بن أبي بن أبي سلول رئيس

المُنافقين ، فأستراح المسلمون من سُرُورٍ كانَ يَهيجُها عليهم .
وفِبرها : أيضاً تُوفِّيتُ أمُّ كُلتُومَ بنتُ الرّسولِ وزَوجُ
عثمانَ بنِ عفّانَ رضِيَ اللهُ عنهُما .

السنة العاشرة

بعثات الى اليمن

في هذه السنّة أرسلَ الرّسولُ عليّ بنَ أبي طالبٍ عليه
السّلامُ في ثلاثِمائةِ فارسٍ إلى قبيلةِ بني مذحجٍ من أهلِ اليمنِ ؛
وعقدَ له لواءَهُ بيمينِهِ وعممَهُ بيدهِ ، وقالَ له : « ميرَحتي تنزلُ
بساحتهم فادعهم إلى قولِ : لا إلهَ إلاّ اللهُ ، فإن قالوا : نعم ،
فرهمُ بالصلاةِ ، ولا تبغِ منهم غيرَ ذلك ، ولأنَّ يَهدي اللهُ بك
رجلاً واحداً خيرٌ لك ممّا طلعت عليه الشَّمسُ ، ولا تُقاتلهم
حتى يُقاتلوك » . وقالَ له أيضاً : « إذا جَلَسَ إليك الخَصمانِ
فلا تقضِ بينهما حتى تسمعَ من الآخرِ » .

فسارَ عليٌّ حتى انتهى إليهم ، ولقيَ مُجموعَهُم فدعاهم إلى
الاسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبلِ ، فعملَ عليهم المسلمون

فَقَتَلُوا مِنْهُمْ عَشْرِينَ رَجُلًا ، فَأَنْهَزُوا فَاكْفَ عَنْ طَالِبِهِمْ ، ثُمَّ
لَحِقَهُمْ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَجَابُوا ، وَبَايَعَهُ رُؤَسَاؤُهُمْ ، وَطَلَبُوا
مِنْهُ أَنْ يَأْخُذَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ ، وَأَنْ يَكُونَ نَوَاعِلِي مَنْ وِرَاءَهُمْ
مِنْ قَوْمِهِمْ .

ثُمَّ قَفَلَ عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ بِأَصْحَابِهِ ، فَوَافَى الرَّسُولَ بِمَكَّةَ
فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ .

ثُمَّ أَرْسَلَ الرَّسُولُ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ مَنْ يُعَلِّمُهُمْ شَرَائِعَ
الْإِسْلَامِ ، وَكَانَتْ مِخْلَافِينَ^(١) ، فَبَعَثَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى
الْكُورَةِ الْعُلْيَا مِنْ جِهَةِ عَدَنَ ، وَبَعَثَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ
إِلَى الْكُورَةِ السُّفْلَى ، وَقَالَ لَهَا : « يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا ، وَبَشِّرَا
وَلَا تُنْفِرَا » وَقَالَ لِمُعَاذٍ : « إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ^(٢) ،
فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا
رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِنْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ
عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ
فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً^(٣) تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ .

(١) المخلاف الكورة والاقليم (٢) حينما ذكر اهل الكتاب فلراد بهم اليهود والنصارى (٣) المراد بالصدقة الزكاة

فُرِدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمٍ (١)
أَمْوَالِهِمْ ، وَآتَى دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ
حِجَابٌ .

ثُمَّ أَنْطَاقَ كُلِّ مِنْهُمَا إِلَى عَمَلِهِ ، فَكَثَّ مُعَاذُ بِالْمِئَةِ حَتَّى
تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ . أَمَّا أَبُو مُوسَى فَقَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ فِي حَجَّةِ
الْوَدَاعِ .

حججة الوداع

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ حَجَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحِجَّةَ
الَّتِي تُعْرَفُ بِحِجَّةِ الْوَدَاعِ وَحِجَّةِ الْبَلَاغِ وَحِجَّةِ الْإِسْلَامِ : خَرَجَ
الرَّسُولُ إِلَيْهَا يَوْمَ السَّبْتِ لِحَسِّ يَقِينٍ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ، فَسَارَ
حَتَّى دَخَلَ مَكَّةَ . وَفِي الثَّمَانِينَ مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ ذَهَبَ إِلَى
مِنَى فَبَاتَ فِيهَا . وَفِي التَّاسِعِ مِنْهُ تَوَجَّهَ إِلَى عَرَفَةَ ، وَفِيهَا خَطَبَ
خُطْبَتَهُ الَّتِي تُعْرَفُ بِخُطْبَةِ الْوَدَاعِ : بَيَّنَ فِيهَا أُمَّمُ أَصُولِ الدِّينِ
وَفَرُوعِهِ ، وَفِي هَذَا الْيَوْمِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى الَّذِي أَمَّنَّ فِيهِ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيَّ نِعْمَتِي
وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا » . فَلَا عَجَبَ إِنْ اتَّخَذَ الْمُسْلِمُونَ

(١) أَيِ أَنْ أُسْمُوا وَأَعْطُوا الزَّكَاةَ فَلَا تَمْتَدُّ عَلَى أَطْيَابِ أَمْوَالِهِمْ .

ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا . وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ : « إِنَّ رُجُلًا مِنْ الْيَهُودِ قَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . آيَةٌ
فِي كِتَابِكُمْ تَقْرُؤُهَا أَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لِأَتَّخِذْنَا ذَلِكَ
الْيَوْمَ عِيدًا . قَالَ أَيُّ آيَةٍ هِيَ ؟ قَالَ : « الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
وَأَتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا » . فَقَالَ عُمَرُ :
قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ قَائِمٌ بِعِرْفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ .
ثُمَّ رَجَعَ الرَّسُولُ إِلَى الْمَدِينَةِ .

وفود العرب

ولما امتدَّ سلطان الإسلام ، وبزغت شدته على الأنام ،
وأدرك حقيقته الخاص والعام ، رغب فيه الشيخ والغلام ،
فأتوه طوعاً زراً فأت ووحداً ، مشاةً ورُكباناً ، وشدوا
الرحال لأعتناقهم ، وجابوا المفاوز للتشرف بالدخول فيه ،
فكثرت الوفود على الرسول في هذه السنة والتي قبلها ،
فأسلم كثير من قبائل العرب عن طيب نفس إذعانا لله
وخصوعاً لدينه .

ومن الوُفودِ بنو حنيفةَ ومعهمُ مُسَيْلِمَةُ الكذابُ .
وفي البخارى عن ابنِ عَبَّاسٍ رضى اللهُ عنهما قال : « قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ
الكذابُ على عهدِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم فجعلَ يقولُ :
إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ . فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ
صلى اللهُ عليه وسلم ومعهُ ثابتُ بنُ قَيْسِ بنِ شَمَّاشٍ ، وفي يَدِ
رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قِطْعَةٌ جَرِيدٍ ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى
مُسَيْمَةَ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ : لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أُعْطَيْتُكَهَا ،
وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ مَا رَأَيْتُ ، وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ
عَنِّي ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ عَنْهُ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَسَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ
رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : إِنْكَ أَرَى الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ مَا رَأَيْتُ
فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم قال : بَيْنَمَا
أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا
فَأَوْحَى إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ أَنْفِخَهُمَا فَنَفَخْتَهُمَا فَطَارَا ، فَأَوْلَتْهُمَا
كَذَابَيْنِ بَخْرُجَانٍ مِنْ بَعْدِي (احدهما الأَسْوَدُ العَنَسِيُّ طَلِيحَةُ
صَاحِبُ صُنْعَاءَ ، وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةُ الكذابُ صَاحِبُ الْبَامَةِ)
وقد أسلمَ بنو حنيفةَ »

وفي هذه السنة : تُوفِّي إبراهيمُ ابنُ الرسولِ صلى الله عليه وسلم .

وقد تمَّ لهجرة رسولِ الله بِانتهاءِ السنةِ العاشرةِ عشرُ سنوَاتٍ إِلَّا شَهْرَيْنِ وَأَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا ، وَذَلِكَ لَهُجْرَتِهِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

السنة الحادية عشرة

مرض الرسول

فيها : جهَّزَ الرسولُ سرِّيَّةً برِئاسَةِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إِلَى أُبْنَى (وهي نَاحِيَةٌ بِالْبَلْقَاءِ مِنْ مَوْثَنَ حَيْثُ قُتِلَ وَالِدُهُ) وَكَانَ فِي الْجَيْشِ كِبَارُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَبِي عُبَيْدَةَ وَسَعْدٍ . وَكَانَ أُسَامَةُ شَابًّا لَا يَتَجَاوَزُ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ ، وَلَمْ يَتِمَّ لَهُذِهِ السَّرِيَّةِ السَّفَرُ لِأَنَّهُ ابْتَدَأَ مَرَضُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَلَمَّا اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ الْمَرَضُ اسْتَأْذَنَ نِسَاءَهُ أَنْ

يُمرض^(١) في بيت إحداهن، فأذن له أن يُمرض في بيت عائشة
ولما تعذر عليه الخروج إلى الصلاة قال: «مروا أبا بكر فليصل
بالنَّاسِ، ثمَّ خرَّجَ مُتَوَكِّئًا عَلَى عَلِيٍّ وَالْفَضْلِ: وَتَقَدَّمَ الْعَبَّاسُ
أَمَامَهُمْ وَالنَّبِيُّ مَعْصُوبُ الرَّأْسِ يَخْطُ^(٢) بِرِجْلَيْهِ حَتَّى جَلَسَ
فِي أَسْفَلِ مِرْقَاةِ الْمِنْبَرِ. فَتَمَارَّ إِلَيْهِ النَّاسُ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ
ثُمَّ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ بَلَّغْنِي أَنْكُمْ تَخَافُونَ مِنْ مَوْتِ نَبِيِّكُمْ
هَلْ خَلَدَ نَبِيٌّ قَبْلِي فَيَمُنُّ بَعْدَ مَا خَلَدُ فِيكُمْ؟ أَلَا وَإِنِّي لَأَحَقُّ بِرَبِّي
وَإِنَّكُمْ لَأَحِقُّونَ بِي، فَأُوصِيكُمْ بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوْابِينَ خَيْرًا،
وَأُوصِي الْمُهَاجِرِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: «وَالْعَصْرُ
إِنَّ الْإِنْسَانَ أُنْفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ» وَإِنَّ الْأُمُورَ تَجْرِي بِإِذْنِ اللَّهِ.
وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ أَمْرٍ عَلَى اسْتِعْجَالِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
لَا يَعْجَلُ بِعِجَالَةِ أَحَدٍ، وَمَنْ غَابَ اللَّهُ غَلْبَةً، وَمَنْ خَادَعَ اللَّهُ
خَدَاعَةً «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا
أَرْحَامَكُمْ» وَأُوصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا
الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ: أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِمْ، أَلَمْ يُشَاطِرُواكُمْ

(١) يمرض أى يخدم فى مرضه (٢) أى لا يستطيع أن يثبتهما على الأرض .

فِي الثَّامِرِ؟ أَلَمْ يُوسِّعُوا لَكُمْ فِي الدَّارِ؟ أَلَمْ يُؤَثِّرُوكُمْ^(١) عَلَى أَنْفُسِهِمْ
وَبِهِمُ الْخِصَاصَةَ؟^(٢) أَلَا فَنَ وَلِيَّ أَنْ يَحْكَمَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَلْيَقْبَلْ
مَنْ مُحْسِنِهِمْ وَلْيَتَجَاوَزْ عَن مُسِيئَتِهِمْ، أَلَا وَلا تَسْتَأْثِرُوا^(٣) عَلَيْهِمْ
أَلَا وَإِنِّي فَرَطٌ^(٤) لَّكُمْ، وَأَنْتُمْ لَاحِقُونَ بِي، أَلَا فَإِن مَّوْعِدَكُمْ
الْحَوْضُ، أَلَا فَنَ أَحَبُّ أَنْ يَرِدَّهُ عَلَى فُلَيْكُفِّ يَدُهُ وَلسَانُهُ
إِلَّا فَيَا يَنْبَغِي

وفاة الی سول

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ اشْتَدَّ وَجَعُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ. وَلَمَّا دَخَلَ يَوْمُ الْإِثْنَيْنِ فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ
الْأَوَّلِ الَّذِي هُوَ تَمِيمَةٌ عَشْرٍ سِنِينَ لِلْهِجْرَةِ فَارَقَ الرَّسُولُ دُنْيَاهُ،
وَلْحَقَ بِمَوْلَاهُ، وَأَخْتَارَ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى، عَلَى زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،
بَعْدَ أَنْ أَدَّى الْأَمَانَةَ حَقَّ أَدَائِهَا، وَهَدَى النَّاسَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ،
وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ الْعَظِيمِ، فَلَاقَى مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَشَقَّاتٍ مُّجْتَمِعَةً،
وَأَهْوَالَ عَظِيمَةً، فَبِمِ أَزَاحِ عَقَبَةٍ^(٥) كَوُودًا، وَخَاضَ بَحْرًا

(١) أَي يَفْضَلُوكُمْ (٢) الْخِصَاصَةُ : الْفَقْرُ (٣) لَا تَسْتَأْثِرُوا : لَا تَسْتَبِدُوا (٤) أَي
مُتَقَدِّمٌ عَلَيْكُمْ وَسَابِقُكُمْ وَالْفَرَطُ فِي الْأَصْلِ الَّذِي يَتَقَدَّمُ الْوَارِدِينَ إِلَى الْمَاءِ مَبْهِيءٌ لَهُمْ
الْأَرْسَانُ وَالِدَّلَاءُ لَيْسَتْ لَهُمْ (٥) الْعَقَبَةُ : وَاحِدَةٌ عَقَبَاتِ الْجِبَالِ وَالْعَقَبَةُ الْكُوُودُ هِيَ
الصَّعْبَةُ الصَّعُودُ .

هَاجِبًا، وَسَلَّكَ مَفَاوِزَ مُهْلِكَةً، فَتَبَّتْ غَيْرَ مُبَالٍ بِهَوْلِ، وَلَا عَابِيءٍ
بِمَشَقَّةٍ، وَوَقَفَ أَمَامَ تِلْكَ الْمُلَمَّاتِ^(١)، وَسَبَّحَ فِي تِلْكَ الْغَمَرَاتِ^(٢)
إِلَى أَنْ صَرَخَ الْحَقُّ الْبَاطِلَ، وَأَبَادَ تِلْكَ الْجَحَافِلَ^(٣) فَنُشِرَتْ
أَشِعَّةُ الدِّينِ الْحَنِيفِيِّ فِي هَاتِيكَ الْمَجَاهِلِ^(٤). فَذَهَبَ وَالْكَوْنُ
بِمَافِيهِ أَلْسِنَةً نَاطِقَةً بِالشُّكْرِ لَهُ وَالشَّنَاءِ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ كَانَ
السَّبَبَ الْأَقْوَى فِي تَخْلِيصِ الْعَالَمِ مِنَ الضَّلَالِ وَالْفُجُورِ وَفَسَادِ
الْأَخْلَاقِ. وَالْوَسِيلَةَ الْعَظِيمَةَ فِي تَنْوِيرِ الْأَفْكَارِ، وَبَثَّ رُوحَ
الْمَدِينَةِ الْحَقِّ فِي هَذَا الْعَالَمِ، كَفَسَّنَتْ بِذَلِكَ الْحَالُ، وَسَلِمَ
الْمَالُ، وَقَدْ شَهِدَتْ لَهُ بِذَلِكَ الْعُلَمَاءُ الْغَابِرَةُ، وَالْفَلَاسِيفَةُ
الْحَاضِرَةُ.

*
* *

وَعِنْدَ وِفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كَانَ أَبُو بَكْرٍ
غَائِبًا فِي السُّنْحِ (وَهِيَ مَنَازِلُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ) فَلَمَّا
عَلِمَ الْمَسَامُونَ بِوَفَاتِهِ عَظُمَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ، وَاشْتَدَّ الْهَوْلُ، وَجَاءَ
مُعَرُّ بْنُ الْخَطَّابِ مُنْتَضِيًا سَيْفَهُ مُتَوَعِّدًا مَنْ يَقُولُ «مَاتَ

(١) المللمات : النوازل (٢) الغمرات : الشدائد (٣) الجحافل الجيوش العظيمة
والمراد بها جيوش الباطل (٤) المجاهل : جمع مجمل وهي الفلاة المهلكة التي لا يهتدى
فيها ، والمراد بها تلك الظلمات من الباطل والشرك والفجور التي أضلت الامم .

رَسُولُ اللَّهِ « وَقَالَ : إِنَّمَا أُرْسِلَ إِلَيْهِ كَمَا أُرْسِلَ إِلَى مُوسَى فَلَبِثَ
عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً .

فَلَمَّا جَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَأَخْبَرَ الْخَبَرَ دَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ وَكَشَفَ
الْحِجَابَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ فَقَبَّلَهُ وَبَكَى . ثُمَّ خَرَجَ فَحَمِدَ اللَّهَ
وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ
مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ
تَعَالَى : « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ
مَنْ قَبْلَهُ الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ
يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ »
قَالَ عُمَرُ : فَكَأَنِّي لَمْ أَتْلُ هَذِهِ الْآيَةَ قَطُّ .

دَفَنُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَبَقِيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَيْتِهِ بَقِيَّةَ يَوْمِ الْأَثْنَيْنِ وَلَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ
وَيَوْمَهُ وَلَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ حَتَّى أَنْتَهَى الْمَسَامُونَ مِنْ إِقَامَةِ خَلِيفَةٍ لَهُمْ ،
ثُمَّ غُسِّلَ وَكُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَنْوَابٍ لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ ،
وَلَمَّا تَمَّ تَجْهِيْزُهُ وَوُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ
الْمَسَامُونَ جَمِيعًا بِلَا إِمَامٍ ، الرَّجَالُ ثُمَّ النِّسَاءُ ثُمَّ الصَّبِيَّانُ ، ثُمَّ

مُحْفَرٍ لَهُ لَعْدٌ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ حَيْثُ تُؤَمِّقُ ، وَدُفِنَ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ
فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، وَدَخَلَ الْقَبْرَ عَلَى وَالْعَبَّاسِ وَوَلَدَاهُ الْفَضْلُ
وَقُتَيْبٌ ، وَهُمْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا غَسْلَهُ وَتَكَفِينَهُ وَأَمْرَهُ كُلَّهُ . وَرَشَّ
قَبْرَهُ بِالْمَاءِ بِلَالٍ . وَرُفِعَ قَبْرُهُ عَنِ الْأَرْضِ قَدْرَ شِبْرٍ .
وَفِي الْحَدِيثِ : « لَا تَتَّخِذُوا قُبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ مِنْ بَعْدِي »

*
* *

تُؤَمِّقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ يَتْرُكُ لِلْمَسْلَمِينَ سِوَى شَيْئَيْنِ
لَا يَضُرُّهُمُ شَيْءٌ مِمَّا تَسَكَّرُوا بِهِمَا . وَهَمَّا : كِتَابُ اللَّهِ الَّذِي
لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَافِهِ ، وَالثَّانِي مَا حَفِظَهُ
عَنْ الثَّقَاتِ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي كَانَتْ تَشْرِيعًا وَتَبْيِينًا لِلْأَحْكَامِ ،
وَتَوْضِيحًا لِمَقَاصِدِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَقَدْ هَمَّ الرَّسُولُ وَهُوَ
فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ أَنْ يَكْتُبَ الْأُمَّةَ كِتَابًا لَا تَضِلُّ بَعْدَهُ أَبَدًا .
رَوَى الْبُخَارِيُّ « عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : لَمَّا أَسْتَدَّ
بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ قَالَ : أَتْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبُ
لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ . فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنْ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَلَبَهُ الْوَجَعُ ، وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللَّهِ حَسْبُنَا .

فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ . فَقَالَ : قَوْمُوا عَنِّي وَلَا يَنْبَغِي عِنْدِي
التَّنَازُعُ »

عَاشَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَلَاثًا وَسِتِينَ سَنَةً ، قَضَى مِنْهَا أَرْبَعِينَ
سَنَةً قَبْلَ النُّبُوَّةِ ، وَثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً فِي مَكَّةَ بَعْدَهَا ، وَعَشْرَ
سِنِينَ فِي الْمَدِينَةِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ ، وَقَدِ اتَّفَقَ أَنَّ يَوْمَ وِلَادَتِهِ
وهِجْرَتِهِ وَوَفَاتِهِ هُوَ يَوْمُ الْاِثْنِينَ فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ
الْأَوَّلِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَجَعَلْنَا مَنْ يَرُدُّ حَوْضَهُ وَيُنَالُ
مُرَافَقَتَهُ فِي أَعْلَى عَلِيِّينَ ، ثُمَّ إِنَّا نَحْمَدُهُ تَعَالَى أَنْ جَعَلَنَا مِنْ أُمَّتِهِ ،
كَمَا نَسَأَلُهُ أَنْ يَتَوَفَّانَا عَلَى مِلَّتِهِ ، وَيُرْشِدَنَا إِلَى الْعَمَلِ بِمَقْتَضَى
شَرِيعَتِهِ ، وَيُثَبِّتَنَا عَلَى هِدَايَتِهِ ، وَيُغْنِيَنَا سُبْحَانَهُ بِرَحْمَتِهِ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ آمِينَ .

الخلافة بعده

انْتَقَلَ الرَّسُولُ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ الْفَانِيَةِ إِلَى تِلْكَ الدَّارِ الْبَاقِيَةِ
وَلَمْ يَعْهَدْ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ بِالْأَمْرِ لِيَكُونَ خَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ .
رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « أَنَّ عَلِيَّ
ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم في وجعه الذي توفّي فيه ، فقال الناس : يا أبا الحسن ، كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أصبح بحمد الله بارئاً ، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال : « أنت والله بعد ثلاث^(١) عبد العَصَا^(٢) وإني والله لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يتوفّي في وجعه هذا ، إني لأعرف وجوة بني عبد المطلب عند الموت ، إذ هب بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلنساله فيمن هذا الأمر ، إن كان فينا عامنا ذلك ، وإن كان في غيرنا عامناه فأوصي بنا » . فقال علي : « إنا والله لنسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحنها لا يعطيناها الناس بعده ، وإني لا أسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وبعد وفاة الرسول اختلف الصحابة فيمن يتولى الأمر بعده ، فطلبها الأنصار لأنفسهم ، فأراد عمر الكلام فقال له أبو بكر : على رسلك^(٣) ، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس : نحن المهاجرين أول الناس إسلاماً ، وأكرمهم أحساباً ، وأوسطهم داراً ، وأحسنهم وجوهاً ،

(١) أي بعد ثلاث من الليالي بإيامها (٢) أي تعبيراً مأموراً بموته وولاية غيره

(٣) أي على مهلك .

وَأَكْثَرُ النَّاسِ وَلَادَةً فِي الْعَرَبِ، وَأَمْسَهُمْ رَحِمًا، بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَسْلَمْنَا قَبْلَكُمْ ، وَقَدَّمْنَا فِي الْقُرْآنِ عَلَيْكُمْ ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ » فَنَحْنُ الْمُهَاجِرُونَ وَأَنْتُمْ الْأَنْصَارُ إِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ ، وَشُرَكَاءُنَا فِي الْفَيْءِ ، وَأَنْصَارُنَا عَلَى الْعَدُوِّ ، وَأَوْيَتُمْ وَوَأَسَيْتُمْ ، فَجَزَاكُمْ اللَّهُ خَيْرًا ، فَنَحْنُ الْأَمْرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ ، لَا تَدِينُ الْعَرَبُ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَلَا تَنْفَسُوا عَلَى إِخْوَانِكُمُ الْمُهَاجِرِينَ مَا مَنَحَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ « ثُمَّ قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ : اْمُدُّ يَدَكَ أَبَايَعُكَ ، فَدَّتْ يَدَهُ فَبَايَعَهُ وَبَايَعَهُ النَّاسُ ، وَهُوَ أَوَّلُ خَلِيفَةٍ فِي الْإِسْلَامِ .

خاتمة

في أشياء متفرقة

أولاده عليه السلام

أما أبناء الرسول فثلاثة وهم: القاسم^(١) وإبراهيم^(٢) وعبد الله^(٣)، وأما بناته فهن أربع: زينب^(٤) ورقية^(٥) وأم كلثوم^(٦) وفاطمة البتول^(٧). وكل أولاده من خديجة بنت خويلد إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية، وكل أولاده وُلدوا قبل النبوة إلا فاطمة فبعد النبوة بسنة واحدة على المعتمد^(٨)، وإلا إبراهيم فإنه وُلد في التامنة من الهجرة. وكل أولاده ماتوا قبله إلا فاطمة، فإنها عاشت بعده ستة أشهر.

أزواجه وسراريه الطاهرات

قد اختلف في أزواجه صلى الله عليه وسلم، والمتفق عليه

(١) هو أول ولد ولد له قبل النبوة وبه كل يكنى وعاش سنتين (٢) توفي بعد سبعين يوماً من مولده (٣) ويلقب بالطيب والطاهر وقد مات صغيراً (٤) هي أكبر بناته أدركت الإسلام واسلمت ثم أسلم زوجها وابن خالتها أبو العاص لقيط بن الربيح (٥) زوجها عثمان ابن عفان (٦) تزوجها عثمان أيضاً بعد وفاة أختها رقية (٧) زوجها علي بن أبي طالب وتلقب بالبتول لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً ودينياً (٨) وقيل ولدت قبل النبوة بخمس سنين وهو غير معتمد .

أَنَّهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ أُمْرَأَةً : سِتٌّ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُنَّ : خَدِيجَةُ^(١)
 بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَلَمْ يَتَزَوَّجْ غَيْرَهَا إِلَّا بَعْدَ وَفَاتِهَا ، وَعَائِشَةُ^(٢)
 بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَحَفْصَةُ^(٣) بِنْتُ عُمَرَ ، وَأُمُّ حَبِيبَةَ^(٤)
 بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَأُمُّ سَامَةَ^(٥) هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ ، وَسَوْدَةَ^(٦)
 بِنْتُ زَمْعَةَ ، وَأَرْبَعٌ عَرَبِيَّاتٌ وَهُنَّ : زَيْنَبُ^(٧) بِنْتُ جَحْشٍ مِنْ
 بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ ، وَمَيْمُونَةُ^(٨) بِنْتُ الْحَارِثِ الْهَلَالِيَّةِ ،
 وَزَيْنَبُ^(٩) بِنْتُ خُزَيْمَةَ الْهَلَالِيَّةِ وَتُعْرَفُ بِأُمِّ الْمَسَاكِينِ ،
 وَجُوَيْرِيَّةُ^(١٠) بِنْتُ الْحَارِثِ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ، وَوَأَحَدَةٌ مِنْ بَنِي
 إِسْرَائِيلَ وَهِيَ صَفِيَّةُ^(١١) بِنْتُ حَيٍّ بْنِ أَخْطَبٍ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ .
 وَمَاتَ مِنْهُنَّ عِنْدَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ اثْنَتَانِ وَهُمَا : خَدِيجَةُ^(١٢)
 وَزَيْنَبُ أُمُّ الْمَسَاكِينِ ، وَتُوَفِّيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تِسْعِ
 نِسْوَةٍ .

وَأَمَّا سَرَارِيهِ فَقِيلَ إِنَّهُنَّ أَرْبَعٌ وَهُنَّ : مَارِيَّةُ^(١٣) الْقِبْطِيَّةُ

(١) توفيت سنة ١٠ من النبوة (٢) توفيت في المدينة سنة ٥٨ أيام معاوية (٣) توفيت سنة ٤٥ في أيام معاوية (٤) توفيت في المدينة سنة ٤٤ أيام أخيها معاوية (٥) توفيت سنة ٥٩ في أيام معاوية (٦) توفيت بالمدينة سنة ٥٤ في خلافة معاوية (٧) ماتت في المدينة سنة ٢٠ في أيام عمر (٨) توفيت سنة ٥١ بسرف أيام معاوية (٩) توفيت في حياته سنة ٤ للهجرة (١٠) ماتت سنة ٥٥ أيام معاوية (١١) توفيت سنة ٥٠ في زمن معاوية (١٢) ماتت سنة ١٦ أيام عمر

أم إبراهيم ابن النبي عليه الصلاة والسلام، وهي التي أهداها له المقوقس صاحب الإسكندرية، وريحانة^(١) القرظية، وواحدة وهبتها له زينب بنت جحش، والرابعة أصابها في بعض السبي.

اعمام الرسل أبناء عبد المطلب

أبو طالب وأسمه (عبد مناف) والزبير وحزمة^(٢) والمقوم وأبو الفضل العباس^(٣) (وهو أخوه من الرضاع أيضاً) وضرار والحارث وقثم وأبو لهب (وأسمه عبد العزى) والغيداق. ولم يسلم منهم إلا حزمة والعباس.

عماته عليه السلام بنات عبد المطلب

صفية (أم الزبير بن العوام) وعاتكة والبينضاء (وهي أم حكيم) وبرّة وأميمة (وهي توأمة والد الرسول أي كانت معه في بطن واحد) وأزوى. وأسلم منهن صفية وأختلفت في إسلام عاتكة وأزوى.

(١) ماتت في حياته سنة ١٠ للهجرة (٢) قتل يوم احد وله تسع وخمسون سنة

(٣) توفي في خلافة عثمان ولثمان وثمانون سنة.

أمه من الرضاع وحاضنته

أما أمه من الرضاع فهي حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية ،
وهي التي أرضعته حتى أكملت رضاعه ، وزوجها أبو كبشة .
وأرضعته أيضا ثويبة جارية أبي لهب (وهي التي أعتقها أبو لهب
عند ما بشرته بميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم) وقد اختلف
العلماء في إسلامها وإسلام حليلة وزوجها .
وكانت حاضنته أم أيمن بركة بنت ثعلبة أم أسامة
ابن زيد بن حارثة .

أفراسه وغير ذلك

أما أفراسه فأشهرها اللزاز والمرتجز والظرب واليعسوب
واليعبوب . وبغلته دلدل ، وكانت شهباء ، وله غيرها . وحمارة
يعفور . وناقته القصواء ، وهي التي هاجر عليها . وكان له عليه
السلام خمس وأربعون لقة^(١) أرسلها إليه سعد بن عبادة ،
وكان له مائة شاة وسبعة أعنز .

وخاتمه من فضة (وقيل من حديد) اتخذهُ يوم كاتب
الملك يدعوهم إلى الإسلام بعد أن رجع من خيبر ، ونقشه

(١) اللقة : الناقة ذات اللبن القريبة العهد بالولادة

« محمد رسول الله » في ثلاثة أسطر .
 وأشهرُ دُرُوعِهِ ذاتُ الفضولِ . وأشهرُ سِيُوفِهِ ذو الفقارِ ،
 وأشهرُ خَدَمَتِهِ أنسُ بنُ مالكٍ .

هيئته و بعض أحواله

كان عليه الصلاة والسلام تام الخلق ، حسن المنظر ، تلوح عليه سيما الوقار والهيبة ، وكان أحسن الناس خلقاً ، أبيض الوجه أزهر^(١) اللون ، حسن الفم ، وكان عظيم الهامة^(٢) ، صلت^(٣) الجبين ، أزج^(٤) الحاجبين ، عظيم الجبهة ، أهدب^(٥) الأشفار ، أدعج^(٦) العينين . أنجلهما^(٧) ، أقنى الأنف^(٨) ، أسيل^(٩) الخدين ، كث^(١٠) اللحية ، وكان شثن^(١١) الكفين والقدمين ، عبلي^(١٢) الذراعين ، رخب الكتفين ، واسع الصدر ، وكان ليس بالطويل ولا القصير ، وهو إلى الطول أقرب ، وكان

(١) أي أبيض وشرق الوجه (٢) الهامة الرأس (٣) الجبين الصلت هو الامس البراق
 (٤) أي دقيق الحاجبين من غير قرن ، هذا هو المشهور ويروى انه كان مقرون
 الحاجبين وبه وصفه على رضى الله عنه (٥) الاهدب : تام الهدب والهدب : مانبت من
 الشعر على أشفار العين والاشفار : جمع شفر بضم الشين وهي حروف الاجفان التي
 ينبت عليها الشعر (٦) أي شديد سوادها مع سعتها (٧) الانجل واسع العينين
 (٨) أي محدود به (٩) الحد الاسيل هو اللين المستطيل بلا ارتفاع الوجنة
 (١٠) كثيفها (١١) أي غليظ أصابعها (١٢) أي ضخمها .

شَعْرَةٌ لَا رَجُلًا^(١) وَلَا سَبْطًا^(٢) وَلَا جَعْدًا وَلَا قَطِطًا^(٣) وَكَانَ
بَيْنَ أُذُنَيْهِ وَعَاتِقَيْهِ ، وَفِي رِوَايَةٍ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ ، وَكَانَ
يُرْجَلُهُ^(٤) ، وَكَانَ يُفَرِّقُهُ نَارَةً وَيُسَرِّحُهُ أُخْرَى ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى
الْفَرْقِ ، وَلَمْ يُرَوْ أَنَّهُ حَلَقَ رَأْسَهُ الشَّرِيفَ فِي غَيْرِ نُسْكَ حَجٍّ
أَوْ عُمْرَةٍ ، وَكَانَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ نَحْوُ عَشْرِينَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ .
وَكَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ يَبْلُغُ صَوْتُهُ حَيْثُ لَا يَبْلُغُهُ صَوْتُ
غَيْرِهِ ، وَكَانَ ضَحِكُهُ لَا يَتَجَاوَزُ ظَهْرَ نَوَاجِذِهِ ؛ وَكَانَ أَكْثَرَ
ضَحِكِهِ التَّبَسُّمَ .

وَكَانَ مَشِيئُهُ تَسْكَفُوًّا^(٥) كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ^(٦) وَكَانَ
إِذَا وَطِئَ بِقَدَمَيْهِ وَطِئَ بِهَا كَلَّهَا .
وَكَانَ إِذَا أَلْتَفَتَ يَلْتَفِتُ بِجَمِيعِ بَدَنِهِ لِابْوَجْهِهِ وَحَدُّهُ ،
وَكَانَتْ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ صِفَتَهُ وَإِنْ لَمْ يَمَسَّ طِيبًا . وَلَمْ يَتَنَاءَبْ
وَلَمْ يَتَجَشَّ قَطُّ .

شماله وأخلاقه عليه السلام

كَمَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْمَلَ النَّاسِ خَلْقًا كَانَ أَكْمَلُهُمْ

(١) أى كان غير جمد (٢) أى غير مسترسل (٣) القطط هو الفصير الجمعد
(٤) يمشطه (٥) التلكفؤ : الميل الى سن المشي وهو ان يمشي هونا كما تمایل النخلة
(٦) الصبب : المكان المنحدر

مُخْلَقًا ، وَأَعْلَامٌ مَزِيَّةٌ ، وَأَسْمَاءٌ عَقْلًا ، مُحِبًّا لِلْفُقَرَاءِ ، رَوَّافًا
بِالنَّاسِ رَحِيمًا بِهِمْ ، لَا يَنْفِرُ مِنْهُ جَلِيسُهُ ، وَكَانَ إِذَا حَضَرَ يَجْلِسُ
حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ ، وَكَانَ أَصْحَابُهُ لَا يَقِفُونَ لَهُ عِنْدَ حُضُورِهِ
لَأَنَّهُمْ يَعْمُونَ مِنْهُ كَرَاهَتَهُ لَذَلِكَ ، يَغْضَبُ إِذَا أُتْهِكَتْ
حُرْمَاتُ اللَّهِ ، وَلَا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ ، وَلَا يَنْتَقِمُ مِمَّنْ أَذَاهُ ، بَلْ
يَعْفُو عَنْهُ وَيَصْفَحُ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : « مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْتَصِرًا مِنْ مَظْلَمَةٍ مُظْلَمَهَا قَطُّ مَا لَمْ تَكُنْ حُرْمَةً
مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَمَا ضَرَبَ بِيَدِهِ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَمَا ضَرَبَ خَادِمًا وَلَا أَمْرَأَةً » وَرَوَى الْبُخَارِيُّ
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَّابًا وَلَا فُجَّاشًا وَلَا لَعَانًا ، كَانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا عِنْدَ
الْمَعْتَبَةِ ^(١) مَالَهُ تَرِبَ جَبِينُهُ ^(٢) » .

وَكَانَ شَدِيدَ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ ، كَثِيرَ الْخَشْيَةِ عَلَى عُلوِّ
مَنْصِبِهِ وَرَفِيعِ رُتْبَتِهِ ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا
تَأَخَّرَ ^(٣) . وَكَانَ شَجَاعًا قَوِيًّا جَوَادًا كَرِيمًا ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ

(١) المعتبة : العتاب (٢) ترِبَ جبينه : هي كلمة جرت على لسان العرب لا يريدون
حقيقتها وهو التصافها بالتراب . والمراد بها في كلام الرسول دعاء لمن يماثبه بالطاعة أي
يصلي فيترب جبينه أي يصبغ بالتراب (٣) « يبحث عصمة الأنبياء عن الذنوب »
علم أنه مما يجب اعتقاده أن الأنبياء عليهم السلام منزهون عن الصغائر والكبائر .

الأخلاق العلية والأوصاف الكريمة التي كانت صفة غريزية فيه صلى الله عليه وسلم . وكان خلقه القرآن ، فكما أن معاني القرآن يكل الوصف عنها فكذلك أوصافه الكريمة يعجز القلم واللسان عن نعتها ، ومن أحب التوسع في ذلك فعليه بالكتب المولفة في هذا الموضوع ، فإن فيها العجب العجيب .
« فائدة » حسن الخلق هو ملكة نفسانية يسهل على المتصيف بها أن يأتي بالأفعال الجميلة .

معيشته صلى الله عليه وسلم

كان الرسول لم يشبع من طعام قط ، وكان ينهي عن الشبع لما فيه من إذهب الفطنة وجلب الأمراض وتثقل المعدة ، فإن المعدة بيت الداء ، وأكثر الأمراض ناشية من امتلاء البطون بالمأكل ، كما قال الشاعر :
فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

لكن قد ورد في القرآن الكريم نسبة بعض الذنوب لبعض الانبياء . فظن من لاروية له ولا دراية أنها معاص حقيقية وذنوب وقعت منهم البتة . ومن أوتي الانصاف والفهم يعلم أن مانسب اليهم من المعاصي صادرا ما عن نسيان واما عن اجتهاد واما انه ليس من الذنوب قطعاً وانما هو من باب الامر الصغير يستكبر من العظيم . فكانوا عليهم السلام كثيراً ما ينسبون الذنب لانفسهم وهو لم يخرج في الحقيقة عن باب المباحات أو المكروهات وانما عدها الله عليهم ذنوباً نظراً لشرف رتبهم وعلى مناصبهم . وفي الحقيقة ان ذنوب الانبياء كحسنت الصالحين من سائر الناس .

مخرج من معجزاته

المعجزة أمرٌ خارقٌ للعادة يظهره الله على يدِ مدعى النبوة
تأييداً لدعوته

والمعجزة قسمان : معنوية وحسية . فالأولى يعرفها ويصدق
بها ذوو البصائر النيرة والعقول السليمة ، وهي عبارة عما
أنطوى عليه ذلك النبي من الأخلاق الفاضلة والمزايا السامية ،
وما عرف به من العمل بمقتضى الحق ، والسير في جادة الصدق ،
وما يلوخ عليه من الإمارات الدالة على صدق مدعاه

والثانية يطلبها من لم تصل رتبته إلى إدراك صدق الرسول
بمجرد الإطلاع على أحواله وأخلاقه ولم ترتفع بصيرته وعقله
إلى مقام تلك المعرفة

وقد كان لرسولنا صلى الله عليه وسلم الحظ الأوفر من
كلتا المعجزتين : المعنوية والحسية ، أما الأولى فقد عرفت
جزءاً يسيراً جداً منها في النبذة السابقة . والآن نورد عليك
بعضاً يسيراً أيضاً من معجزاته الحسية .

فإنها أنشاق القمر له نصفين ، وقد طلبت منه العرب
ذلك ، فأشار عليه السلام بإصبعه إلى القمر فشق

فَلَقَّتَيْنِ^(١) وَقَدْ رَأَهُ الْقَاصِي وَالِدَانِي . وَقَدْ ذَكَرَتْ هَذِهِ

(١) وقد ذكرت بعض الجرائد الاجنبية مقالة عربتها جريدة الانسار العربية التي كانت تطبع في قسطنطينية حاصلها: انه عثر في ممالك الصين على بناء قديم مكتوب عليه انه بنى طام كذا الذي وقع فيه حادث سهاوى عظيم وهو انشقاق القمر نصفين فحرر الحساب فوافق سنة انشقاقه لسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم . اهـ
« من هامش باكورة الكلام على حقوق المرأة في الاسلام »

أقول قد علمت ان هذه المعجزة ذكرت في القرآن والقرآن كما لا يخفى على ذى بصيرة منقول اليها نقلا متواتراً لا يتطرق اليه الشك والريب في بلا شك كانت تتلى على رؤوس الناس من مؤمن وكافر فلو لم يكن الانشقاق صحيحاً بل كان مجرد كذب لنقل إلينا ولو عن المخالفين لنا . اما ولم ينقل أحد المعارضة في ذلك فهي مسألة حقيقية لا امرية فيها لان أعداء الدين في ذلك الوقت كانوا له بالمرصاد يتطلعون اليه ليروا له هفوة أو غلطة يأخذوا بها عليه . وكيف يمكن ذلك والقرآن كلام الله . ولما أظهرت الطبعة الاولى من كتابنا هذا ورد اليها كتاب من أحد اعلام العلم بأخذ فيه علينا اعتمادنا لمعجزة انشقاق القمر لانها تخالف قواعد علم الفلك فأجبناه على ذلك بما يأتي :
معجزة انشقاق القمر لم يدعى الى الجزم بها الا سياق الآيات وما ألهمني الله فهمه منها . ولم أقلد بذلك رأياً ولا ماورد فيها من الاحبار وان جازمت طائفة من العلماء بتواتره ، ثم زادني يقيناً ان قرأت عنها ماقرأت من الاثر التاريخي الصيني وقد نقلته في السيرة . وقوله تعالى : « وان بروا آية يمرضوا ويقولوا سحر مستمر » بعد ذكر الانشقاق يؤيد ذلك وانه حصل ويعد حمله على الاستقبال كما قالت طائفة من المفسرين كالزحشرى والبيضاوى والالوسى وغيرهم . وأما أن الحكم بذلك يرد عليه كثير من قواعد العلم الفلكي الجديد فلا يخفى على الاخ الفاضل انها من قسم الخوارق التي يستدعى الدين الاعتقاد بها اجمالاً ، فالاعتقاد بها والاعتماد بالاسراء واحياء الموتى وانفلاق البحر سواء فما يرد عليها من قواعد العلم يرد عليهما من قواعد الطبيعة ، والخلص من ذلك كله لأن للطبيعة خوارق والطبيعيون أنفسهم لا يستطيعون انكارها بل يثبتونها ويقرون بجهل سرها ويسمونها بفتنات الطبيعة . وأن لهم من تلك الخوارق أكثر مما لا محليين غير أنهم يرون القذى في أعين غيرهم وأعينهم ملامى بالحجارة ، بل أشهر علماءهم يقر بأنهم الى الان لم يكتشفوا كثيراً من اسرار الطبيعة وأن هناك أشياء وراء الطبيعة لا يستطيع حلها ، أقول لم يدعى الى الاعتقاد بها تقليد أو آحاد الاحاديث وانما سياق الآيات يثبتها وما صحح من الروايات يعضدها فلذا حزمت بها . وان رأيتم رأياً في الموضوع فابمشوا به الى لاني وايم الله أحب الانتقاد لان فيه من الفوائد ما لا يكاد يحصى

المُعْجِزَةُ العَظِيمَةُ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « اِقْتَرَبَتِ
السَّاعَةُ ^١ وَانْشَقَّ القَمَرُ » .

وَمِنْهَا نَبْعُ المَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ عِنْدَ مَا وَضَعَ يَدَهُ
الشَّرِيفَةَ فِي إِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ حِينَ اشْتَدَّ العَطَشُ بِالصَّحَابَةِ
الكِرَامِ ، وَقَدْ كَانُوا فِي السَّفَرِ

وَمِنْهَا تَكْثِيرُ الطَّعَامِ القَلِيلِ وَكَانُوا مُسَافِرِينَ أَيْضًا
. وَقَدْ بَصَقَ يَوْمَ خَيْبَرَ فِي عَيْنِي عَلِيٌّ بِنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ
عَنْهُ وَكَانَ بِهِمَا وَجَعٌ وَدَعَا لَهُ فَبِرَأً حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِمَا وَجَعٌ
كَافِي الصَّحِيحِينَ ^(١) . وَأَعْظَمُ مُعْجِزَاتِهِ وَأَوْلَاهَا بِالذَّلَالَةِ عَلَى
صِدْقِهِ هُوَ القُرْآنُ ، كِتَابُ اللهِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ
يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، ذَلِكَ الكِتَابُ الَّذِي أُخْرِسَ الفُصْحَاءُ ،
وَأَسْكَتَ البُلْغَاءُ وَحَيَّرَ الفَلَاسِيفَةَ ، وَأَذْهَشَ السَّاسَةَ ، وَخَلَبَ
عُقُولَ العُلَمَاءِ ، ذَلِكَ هُوَ القُرْآنُ الَّذِي سَجَدَتْ لَهُ العَرَبُ وَعَجَزَتْ عَنْ
مُعَارَضَتِهِ ، بَلْ عَنْ الإِتْيَانِ بِأَقْصَرِ سُوْرَةٍ مِنْ مِثْلِهِ . فَلَمَّا عَلِمُوا
أَنْ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِذَلِكَ عَمَدُوا إِلَى السِّيفِ وَالسِّنَانِ ، وَتَرَكَوا
المُعَارَضَةَ بِالسَّنَانِ ... فَفِيهِ مِنَ العِلْمِ البَاهِرِ ، وَالفَلَسَفَةِ المَذْهَبَةِ

(١) راجع مقدمة ديوان شعرنا المسمى « ديوان الفلاييني » فان فيه شيئاً عن القرآن
الكريم تصبو اليه نمس الاديب .

والإرشاد الصحيح ، ما يقفُ عنده كلُّ إنسانٍ حائراً . وفي
الجملة فقد حوى ما فيه الهداية لسعادة الدارين وهناك الحياتين

فصاحته عليه السلام

كان الرسول أفصح الناس ، وأحلام منطقياً وأعذبهم
كلاماً ، وأحسنهم بياناً . وكان لا يسرد الكلام سرداً بل كان
يتأني فيه بحيث أوعدّه عاداً لأخصاه . وقد ورد أنه كان يعيد
الكلمة ثلاثاً لتفهم عنه . وكان يكلم العرب كلها على اختلاف
لغاتها ، حتى قال له عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه : إنك
تكلم العرب بلسان ما نفهم أكثره .

شئ من جوامع كلمه وحكمه

تكلّم الرسول بكلام كثير ، وخاض في مواضع وافرة
وقد دون الرواة من ذلك شيئاً كثيراً كان السبب في حفظ
مسائل الدين . ومن كلامه ما هو موجز اللفظ كثير المعاني .
وإنّا ذاكرون لك إن شاء الله شيئاً منها ومن بعض حكمه
المختصرة . وقد رتبنا ذلك على حروف الهجاء (١)

الهمزة

أسلم تسلم - إنّما الأعمال بالنيّات - إياكم وخضراء
الدمن (٢) : المرأة الحسناء في منبت السوء - أي داء
أذوى (٣) من البخل - إن من البيان لسحراً ، وإن من العلم
لجهلاً ، وإن من الشعر لحكماً - استعينوا على الحاجات
بالسكّان ، فإن كل ذي نعمة محسود - إن مما يئبى الربيع

(١) « تنبيه » ينبغي الاستاذ أن يرغب التلاميذ في حفظ هذه الاحاديث عن ظهر
قلب مع تفهيمهم اياها بقدر الامكان حتى تنفوس فيهم النصيلة فتثمر العمل الصالح .
(٢) الدمن جمع دمنة وهي الانار التي يتركها القوم بعد الرحيل من بر وأوساخ
وغيرها ، يحدّهم من النبات الاخضر الذي يروق الناظر لكنه نابت بين الدمن وهي الاقدار
والاوساخ ، أي لا تفوتوا بمنظرة الحسن قبل البحث عن منبته . ثم بين أن المراد
بخضراء الدمن هي المرأة الحسناء في منبت السوء أي لا ينبغي الاغترار بالمرأة الحسناء
وجالها الظاهري قبل البحث عن جالها الباطني الحقيقي وفي أي منشأ نشأت وأي خلق تعودت
(٣) أي اشد داء

مَا يَقْتُلُ حَبِطًا^(١) أَوْ يُيْلِمُ — إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ
 فَسَعَوْهُمْ بِأَخْلَاقِكُمْ — إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ ، فَأَوْغِلْ^(٢) فِيهِ
 بِرَفْقٍ ، وَلَا تَبْغِضْ لِنَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ ، فَإِنَّ الْمُنْبِتَ^(٣) لَا أَرْضًا
 قَطَعَ ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى — إِنَّ الدِّينَ يُسْرُّ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ
 أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا^(٤) وَقَارِبُوا — الْإِقْتِصَادُ فِي النِّفْقَةِ نِصْفُ
 الْمَعِيشَةِ ، وَالتَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ نِصْفُ الْعَقْلِ ، وَحَسَنُ السُّؤَالِ
 نِصْفُ الْعِلْمِ . — أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ أَيْتَمَنَكَ ، وَلَا تَخُنْ مَنْ
 خَانَكَ — اِتَّمِسُوا الرِّزْقَ فِي خَبَايَا^(٥) الْأَرْضِ — أَخْسَرُ
 النَّاسِ صَفِيقَةً مِنْ أَذْهَبِ آخِرَتِهِ بِدُنْيَا غَيْرِهِ — إِنَّ مَنْ كُنُوزِ
 الْبِرِّ كَثِمَانَ الْمَصَائِبِ . — إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ
 الْأُولَى : إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ . إِيَّاكَ وَمَا يُعْتَدَرُ مِنْهُ .

(١) الحبط انتفاخ البطن من كثرة الاكل حتى يفتخ فيموت . ويلم : معناه يقرب أى يقرب من القتل والهلاك . هذا مثل لمن انهمك في جمع المال من حله وغير حله ومنع ماوجب عليه اخراجه منه وترك ما فرض الله عليه (٢) أوغل : الايفال السير السريع وتوغل في الارض سار فيها وأبمد (٣) المنبت هو المنقطع والمراد به المنقطع عن رفاقه في السفر الذي يحمل دابته على مالا تطيقه من السيررغبة في الاسراع ليصل الى غايته فينقطع ظهرها تعباً فلا تقدر على السير فينقطع هو في الطريق فيكون حينئذ ماقطع الارض التي أرادها ولا أبقى ظهر دابته سالماً فكذلك من يجهد نفسه في العبادة وينقطع فيها فلا يلبث أن يملاها ويبفضها ، فلا هو بالغ المقصود من ارضاء الله ولا أبقى نفسه في الراحة (٤) سددوا : توسطوا لان التوسط في الامور هو السداد والصواب (٥) المراد التمسوه بالحرق والررع

— إِيَّاكَ وَقَرَيْنَ السُّوءِ فَإِنَّكَ بِهِ تُعْرَفُ . — أَخْسَرُ النَّاسِ صَفْقَةً
مَنْ أَخْلَقَ ^(١) يَدَيْهِ فِي آمَالِهِ ، وَلَمْ تُسَاعِدْهُ الْأَيَّامُ عَلَى أَمْنِيَّتِهِ
فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ زَادٍ ، وَقَدِمَ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ حُجَّةٍ .

الباء

أَبْلَاءٌ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ ^(٢) . — الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِيِ وَالْيَمِينُ
عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ ^(٣) . — بُعِثَتْ رَحْمَةٌ ، وَلَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا . —
الْبِرُّ مَا سَكَنْتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ . — بُعِثْتُ لِأَتَمَّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ
بَرِيءٌ مِنَ الشُّحِّ ^(٤) مِنْ أَدَى الزَّكَاةِ ، وَقَرَى ^(٥) الضَّيْفَ ،
وَأَعْطَى فِي النَّائِبَةِ . الْبِرُّ حُسْنُ الْخَلْقِ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ ^(٦)
فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ . — بِرُّوَا آبَاءَكُمْ ^(٧)
تَبَرُّكُمْ أَبْنَاءَكُمْ .

التاء

تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِجَمَالِهَا وَمَالِهَا وَدِينِهَا وَحَسَبِهَا ، فَعَلَيْكَ

(١) أخلق : أبلى (٢) ذكر الميداني في الامثال انه من كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه وذكر الصغاني أنه من الموضوعات ، والصحيح أنه من كلام الرسول وقد رواه الضبي بهذا اللفظ ورواه أبو داود الطيالسي بلفظ البلاء . وكل بالقول (٣) جاء في شرح ديوان أبي العلاء سقط الزند أن أول من نطق بذلك قس بن ساعدة غير أنه قال : واليمين على من أنكروا ، والحديث رواه الترمذي (٤) الشح : البخل (٥) قرى الضيف أي إضافة (٦) أي أثر (٧) بروا آباءكم أي احسنوا إليهم .

بذات الدين ^(١) تَرَبَّتْ يَدَاكَ ^(٢) . — تَرَكَ الشَّرَّ صَدَقَةٌ . —
تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ . — تَنَقَّه وَتَوَقَّه « يَعْنِي
تَنَقَّ ^(٣) الصَّدِيقَ وَأَحْذَرَهُ » . — تَهَادَوْا نَحَابُوا . — التَّوْبَةُ تُهْدِمُ
الْحَوْبَةَ ^(٤) التَّدِيرُ نِصْفُ الْعَيْشِ .

الثناء

ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهِيَ مُنَافِقٌ ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَحَجَّ
وَأَعْتَمَرَ وَقَالَ إِنِّي مُسْلِمٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ،
وَإِذَا أُتْمِنَ خَانَ . — ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ :
الْإِنصَافُ مِنْ نَفْسِكَ ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ ، وَالْإِنْفَاقُ
فِي الْإِقْتَارِ ^(٥) .

(١) من يرغب في الزواج بامرأة فاعلم يرغب فيه لامور : المالها أو حسبها أو جمالها
أو دينها ، فالرسول يحذر أن يتزوج الانسان بغير صاحبة الدين والاحلاق الشريفة
فان اجتمع مع ذلك الحب والجمال والمال فتلك نعمة فاضلة ، أما ابنتك الجميلة أو صاحبة
المال أو الحسب على صاحبة الدين فذلك خطأ كبير كما يفعله أكثر الناس اليوم .

(٢) قوله عليه السلام : تربت يداك هذه من الكلمات التي جاءت عن العرب صورتها
الدعاء على الانسان ولا يراد بهاذلك بل المراد بها الحث على الشئ والتحريض عليه واصل
معنى ترب افتقر . (٣) أى إذا أردت أن تتخذ صديقاً فتحيره ولا تتسرع في
صداقته ، ومع ذلك فتيقظ منه واحذره ولا تبغ له بجميع اسرارك فربما صار عدوا
لك يوماً ما . (٤) الحوبة : الذنب ، والتوبة التي تهدم الذنوب وتكفرها هي التوبة
النصوح وهي الندم على الذنب حين يفرض من الانسان فيستغفر الله تعالى ثم لا يعود
اليه أبداً . أما من يتوب على نية الرجوع أو يتوب من الذنب ثم يرجع اليه ثم يتوب ثم
يرجع وهلم جرا فهو ممن لا تقبل لهم توبة واعلم أن الذنوب التي يكفرها الله بالتوبة
إنما هي الحقوق الالهية ، أما حقوق المخلوقين فلا تغفر الا اذا تجاوز عنها صاحبها
(٥) أى في حالة الفقر وهو نهاية الكرم ، وقد ورد : أفضل الصدقة جهد المقل

الجيم

جَدَعَ^(١) الحلالُ أنفَ الغيرةِ - الجارُّ قبلَ الدَّارِ -
جمالُ الرَّجُلِ فصاحةُ لِسَانِهِ - الجنَّةُ تحتَ أقدامِ الأُمَّهَاتِ -
مُجِبَّتِ القلوبُ على حُبِّ من أحسنَ إليها وبُغْضِ من أساءَ إليها.

الحاء

حُجِبَتِ النَّارُ بالشَّهَوَاتِ، وُحِبَّتِ الجنَّةُ بالمسكارِهِ -
الحَرْبُ خَدَعَةٌ - حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْنِي وَيُصِمُّ - حُسْنُ العَهْدِ من
الإيمَانِ. - الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المَوْمِنِ^(٢) يَلْتَقِطُهَا حَيْثُ وَجَدَهَا. -
الحَيَاءُ منَ الإيمَانِ. - الحَيَاءُ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ. - الحَالِفُ
حِنْثٌ^(٣) أَوْ نَدَمٌ. - الحَزْمُ أَنْ تُشَاوِرَ ذَا رَأْيٍ ثُمَّ تُطِيعَهُ.

الخاء

خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ^(٤). - الخَلْقُ السَّيِّئُ يَفْسِدُ العَمَلَ

(١) جدع : قطع قال ذلك الرسول ليلة زفت ابنته فاطمة على علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ذكر ذلك الميداني في امثاله (٢) الحكمة العلم وفضل الشيء . وهو حال بمعنى ضاع ، اي ان العلم بمنزلة ضائع للانسان فيأخذه ممن وجده معه أيا كان وقد ورد « خذ الحكمة ولا يضرك من أي وواء خرجت » : (٣) الحنث الحلف في اليمين (٤) اي لزوجته « اولاهل بيته » ونعام الحديث « وانا خيركم لاهلي » لانه ورد انه عليه السلام لم يضرب زوجة ولاشتمها .

كَمَا يُفْسِدُ الْخَلْقَ الْعَسَلَ . — الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالٌ لِلَّهِ وَأَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ .
أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ . — خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسِنُ
إِلَيْهِ . — خَالِقِ النَّاسِ بِخُلُقٍ حَسَنٍ . — خُذُوا عَلَى أَيْدِي
سُفَهَائِكُمْ قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا أَوْ يَهْلِكُوا . — خَيْرُ النَّاسِ
أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا .

الدال

الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ يَأْكُلُ مِنْهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ ، وَالْآخِرَةُ
وَعَدْدٌ صَادِقٌ ، يَحْكُمُ فِيهَا مَلِكٌ عَادِلٌ ، يُحَقُّ الْحَقَّ وَيُبْطِلُ الْبَاطِلَ
فَكُونُوا أَبْنَاءَ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا أَبْنَاءَ الدُّنْيَا (١) فَإِنَّ كُلَّ

(١) ليس المراد انه ينهاهم عن الدنيا البتة وأن يتركوها قطعاً وانما ينهاهم ان يجعلوها مقصودة بالذات وارشدهم ان يتخذوها وسيلة للآخرة وقنطرة يجوزونها اليها ، والقرآن والاحاديث طافحان بما يحث الانسان على الكسب والعمل قال تعالى : «ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة » وقال صلى الله عليه وسلم : «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » والزهد في الدنيا المطلوب شرعاً هو أن لا يفتخر برخاؤها ويميل الى ملذاتها وبصيو الى مشتياتها ان كان شيء من ذلك يضر بامر الدين ، وأن يكون ما عنده من الاموال في يده لاقى قلبه بحيث يصرفه في وجوهه المشروعة متى دعى الى ذلك ، لا أن يهمل الاشغال والاعمال ويكون كلاً على العباد . وقد ورد في الحديث « ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعاً فان الدنيا بلاغ الآخرة ولا تكونوا كالأغنياء » على أن من راجع تاريخ الصحابة يعلم أن منهم من كان عنده من الاموال القناطير المقنطرة والانعام والخيول الخ لكنهم متى وجدوا حاجة الى انفاق شيء منه وجدت أحدهم أسرع الى ذلك من السهم الى هدفه .

أَمَّ يَتَّبِعُهَا وَلَدُهَا . — الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ ، وَالدَّالُّ عَلَى الشَّرِّ كَفَاعِلِهِ . الدِّينُ مُقْضَى وَالزَّعِيمُ غَارِمٌ ^(١) . الدِّينُ النَّصِيحَةُ . — دَعَّ مَا يُرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيْبُكَ ^(٢) . — دَعَّ قَيْلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالَ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ . — دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ لَا تُحْجَبُ . — دَعْوُهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا ^(٣) .

الذال

الذَّئِبُ لَا يُنْسَى ، وَالْبُرُّ لَا يُبْلَى ، وَالدِّيَانُ لَا يَمُوتُ فَكُنْ كَمَا شِئْتَ . — ذَرُّوا الْمَرَايَ لِقِلَّةِ خَيْرِهِ .

الراء

الرَّفِيقُ قَبْلَ الطَّرِيقِ . — الرَّضَاعُ يُغَيِّرُ الطَّبَاعَ . — رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللَّهِ تَعَالَى . — الرَّفْقُ يَمُنُّ وَالْحَرْقُ ^(٤) شَوْمٌ . — رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا أَصْلَحَ مِنْ لِسَانِهِ . الرَّاجِحُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ . — الرَّفْقُ فِي الْمَعِيشَةِ خَيْرٌ مِنْ بَعْضِ التَّجَارَةِ ^(٥)

(١) الزعيم : الكفيل ، وغارم أى ملزم يدفع الدين عن كفله . (٢) أى اترك ماتشك فيه وتشتبهه وافضل مالاربية فيه ولاشك . (٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي عليه الصلاة والسلام مديوناً لرجل يهودى فتماضاه في طلب دينه فأغفل عليه فقصد أصحابه الى زجره فقال عليه الصلاة والسلام دعوه فان اصاحب الحق مقالا . المراد بالحق هما الدين (٤) الحرق الحق وهو ضد الرفق (٥) اذا كان مورد الانسان من الرزق قليلا فاستعمل الحكمة في النفقة فذلك خير له من بعض التجارة ، وذلك فيما لو اكتسب المال من غير جوده المشروعة لسد ما يتقاضاه من التوسعة في المعيشة .

الزاي

زُرْ غَيْبًا^(١) نَزَدَدُ حُبًّا . - زِنَ وَأَرْجِحُ^(٢)

السين

السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بغيرِهِ . - سُوءُ الْخَلْقِ مُشْوَمٌ ، وَشِرَارُكُمْ
أَسْوَأُكُمْ أَخْلَاقًا . - سَدَّدَ وَقَارِبٌ تَنْجِيحٌ . سَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ .
سَيِّدُ الْعَمَلِ الْوَرَعُ^(٣) . - السَّكِينَةُ مَغْنَمٌ وَتَرَكَهَا مَغْرَمٌ^(٤)

الشين

شِرَارُ النَّاسِ الَّذِينَ يُكْرِمُونَ اتِّقَاءَ شَرِّهِمْ . - شِرَاكٌ مَنْ
نَارٌ « قَالَ لِلغَالِ^(٥) » . - شَرُّ النَّاسِ مَنْ أَتَقَى مَجْلِسَهُ افْحَشَهُ . -
شِفَاءُ الْعِيِّ^(٦) السُّؤَالُ . - شَرُّ الرَّبْعَاءِ^(٧) الْحَطْمَةُ . - شَرُّ بَيْتٍ
فِي الْمَسَامِينِ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يَسَاءُ إِلَيْهِ . - الشُّعْرُ كَلَامٌ فَحَسَنُهُ
حَسَنٌ ، وَقَبِيحُهُ قَبِيحٌ .

الصاد

صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعُ^(٨) السُّوءِ . - وَصَدَقَةَ الْبِرِّ

(١) الغب في الزيارة ان تزور مرة في كل أسبوع (٢) زن : أمر من الوزن ، أي اذا وزنت فأرجح الوزن كيلا تقع في إيقاصه . (٣) الورع ، التقوى والتحفظ من الشبهات خوف الوقوع في المحرم (٤) المغرم : في الاصل الغرامة وهو ما يلزم اداؤه والمراد بالمغرم هنا الخسارة (٥) الغال الخائن (٦) العي : عدم الاهتداء لوجه المراد . (٧) الرعاء جمع راع وهو من تولى أمر البهائم من رعى وغيره ، الحطمة : الرامى بالظلم . والحطمة في القرآن الشديدة من النيران أو اسم لجهنم والكلام مثل لمن يتولى أمراً فيقوم فيه بالشدة والعنف والظلم . (٨) مصارع : جمع مصرع وهو

تُطْفِي غَضَبَ الرَّبِّ . وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ . الصَّعْتُ
حُكْمٌ^(١) وَقَلِيلٌ فَاعَلَهُ . — صِلْ مَنْ قَطَعَكَ ، وَأَحْسِنْ إِلَى مَنْ
أَسَاءَ إِلَيْكَ ، وَقُلِ الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ . الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ
الْأُولَى . — الصَّبْرُ مِفْتَاحُ الْفَرْجِ

الضاد

الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَأَزَادَ فَهُوَ صَدَقَةٌ^(٢) :

الطاء

الطَّمَعُ يُذْهِبُ الْحِكْمَةَ مِنْ قُلُوبِ الْعُلَمَاءِ . الطَّهْوَرُ شَطْرُ
الْإِيْمَانِ^(٣) . طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ

الظاء

الظُّلْمُ ظِلْمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، — الظَّنُّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ
وَهُوَ الظُّلْمُ الْغَنَى الْمَطْلُ . — ظَلَمَ الْأَجِيرَ أَجْرَهُ مِنَ السُّكْبَائِرِ .

اسم مكان من العسر وهو الطرح أى صنائه المعروف تحفظ الانسان من مواقع الشر
(١) الحكم : أصل . معناه المنع ومثله الحكمة ، وجعل النبي الصمت حكماً لأنه يمنع
صاحبه من الوقوع في الأثم والشدة لان سلامة الانسان في حفظ اللسان
(٢) هذه رواية احمد وغيره وفي رواية البخارى : فما كان وراء ذلك فهو صدقة .
وفي رواية ابن أبى الدنيا زيادة عليهم وهي : وعلى الضيف أن يتحول بعد ثلاثة أيام .
(٣) ليس المراد بالطهور الذى هو شطر الايمان طهارة الظاهر بأفاضة الماء عليه وتنظيفه
والباطن مشحون بالاخبثات . بل المراد به ما يشمل طهارة الظاهر وطهارة الجوارح بمن
اكتساب الآثام والجرائم وطهارة القلب من الاخلاق المذمومة والذائل الممقوتة . ونظاهرة
السر عما سوى الله وهي طهارة الانبياء صلوات الله عليهم . هذا تلخيص كلام الامام الفزالى في
شرح هذا الحديث وهو كلام نفيس جداً . راجع تمة البعث في الاحياء في كتاب أسرار الطهارة .

العين

العَفْوُ لَا يَزِيدُ الْعَبْدَ إِلَّا عَزًّا ، وَالتَّوَاضُّعُ لَا يَزِيدُهُ إِلَّا رَفْعَةً
وَمَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ . — الْعِدَّةُ عَطِيَّةٌ ^(١) . — الْعِدَّةُ دِينٌ ^(٢)
الْعَالِمُ وَالْمَتَعَلِّمُ شَرِيكَانِ فِي الْأَجْرِ . عَلَّمُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تَعَسَّرُوا
وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفَرُوا ، وَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ . —
عَلَيْكَ بِالْإِيَّاسِ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ . وَإِيَّاكَ وَالطَّمَعِ فَإِنَّهُ
الْفَقْرُ الْحَاضِرُ .

الغين

غُضٌّ بَصْرَكَ ^(٣) . — الْغَادِرُ يُنْصَبُ لَهُ لَوَائِمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .
الْغَيْبَةُ ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ . — الْغَيْرَةُ مِنَ الْإِيمَانِ ^(٤) .
الْغِلُّ ^(٥) وَالْحَسَدُ يَأْكُلَانِ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ .

الفاء

فِي كُلِّ ذَاتٍ كَبِدٌ حَرٌّ ^(٦) أَجْرٌ . — فِيكَ خَصْلَتَانِ

(١) أى بمنزلة العطية فلا ينبغي أن يخاف بها كما لا ينبغي أن يرجع الانسان في عطيته
(٢) أى كالدين في تأكيد الوفاء بها فاذا أحسنت القول فاحسن الفعل ليجمع لك مزية
اللسان ، وثمرة الاحسان (٣) أى غضه عما لا يحمل لك . (٤) هذا اذا كانت غيرة
الرجل على أهله عند الريبة والشك والافى مذمومة . (٥) الغل بكسر الفين هو الحقد
وقد يفسر بالفش . (٦) ذات بمعنى صاحبه «الحرى» العطشى مؤنث الحران بمعنى العطشان
والمعنى أن الانسان يؤجر على كل عمل خير يعمله ولو بسق الماء للمحتاج من بنى ادم أو غيرهم

يُحِبُّهُمَا اللَّهُ : الْحِلْمُ وَالْإِنْتَانَةُ^(١) . فَكُفُّوا الْعَانِي^(٢) وَأَجِيبُوا الدَّاعِي
وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ وَاعْوِدُوا^(٣) الْمَرِيضَ . - فِي الْمُنَافِقِ ثَلَاثُ خِصَالٍ :
إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا ائْتَمَنَ خَانَ . -
الْفَضْلُ فِي أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ،
وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ .

القاف

الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ ، وَكَثْرٌ لَا يَفْنَى . - قَالَ عَيْسَى^(٤)
لِدُّوَا^(٥) لِأَمْوَاتٍ وَأَبْوَا لِلْخَرَابِ . - قَالَ دَاوُدُ : يَا زَارِعَ السِّيِّئَاتِ
تَحْصِدُ شَوْكَهَا وَحَسَكَهَا^(٦) . - قُلِ الْحَقُّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا . -
قُلِ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِم . - الْقَنَاعَةُ كَثْرٌ لَا يَفْنَى . - قُولُوا خَيْرًا
تَغْنَمُوا وَأَسْكُتُوا عَنِ شَمْرِ تَسَامُوا . - قِوَامُ الْمُرءِ عَقْلُهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ
لَا عَقْلَ لَهُ . - الْقَضَاةُ^(٧) ثَلَاثَةٌ : إِثْنَانِ فِي النَّارِ وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ ،

من الحيوانات والهائم . وقد ورد في الحديث : غفرا لمرأة مومسة مرت تكاب على رأس
ركي يلبث كاد يعقله العطش فنزعت حفها وأوثقتها بحمارها فنزعت له من الماء ممر لها بذلك
« ركي : جمع ركية وهي الثمر . ويلبث ممتد يخرج لسانه من العطش » ولا يخفى ما في قول
الرسول هذا من الحب على الرفق بالحيران والشفقة عليه وقد ورد كثير من الأحاديث
الدالة على تأكيد ذلك والحائث عليه ليستفد منها مشاء كل من يدمى بانشاء الجبهيات للرفق
الحيوانات من أهل أوروبا وغيرهم (١) الحد : العقل . الانتان : الرفق لعدم التسرع
(٢) العاني الأسير (٣) عودوا : زوروا (٤) المراد به عيسى بن مريم صلوات الله عليه .
(٥) لدوا قبل امر من الولادة (٦) الحسك : نبات له شوك . (٧) القضاة جمع
قاض وهو الحاكم والمراد به الحاكم بأمر من الأمور بين الناس

رَجُلٌ عَليمٌ الحَقِّ فَقَضَى بِهِ فَهُوَ فِي الجَنَّةِ وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلى جَهْلِ
فَهُوَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ عَرَفَ الحَقَّ فَجَارَ فِي الحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ .

الكاف

الكَيْسُ^(١) مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ . وَالعَاجِزُ
مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلى اللَّهِ الأَمَانِيَّ . — كَادَ الفَقْرُ أَنْ
يَكُونَ كُفْرًا . — كَبُرَتْ خِيَانَةٌ أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ
لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ لَهُ بِهِ مُكَذِّبٌ . كِتَابُ اللَّهِ القِصَاصُ . —
كَرَّمَ المَرْءُ دِينَهُ ، وَمَرَّةً تَهْ عَقْلُهُ ، وَحَسْبُهُ خُلُقُهُ . كَفَى بِالْمَرْءِ
إِنَّمَا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ . — كُلُّ مُسْكَرٍ حَرَامٌ . —
كُلُّم رَاعٍ وَكُلُّ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَن رَعِيَّتِهِ . — كَمَا تَدِينُ تَدَانُ^(٢)
— كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ .

اللام

لَيْسَ لِلعَامِلِ مِنْ عَمَلِهِ إِلا مَا نَوَاهُ . — لَا يَجْنِي^(٣) جَانٍ إِلا عَلى
نَفْسِهِ . — لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ^(٤) إِتْمَا الشَّدِيدُ مَنْ يَمْلِكُ
نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ . — لَيْسَ الخَبْرُ كَالْمَعَايِنَةِ . — لَا يَنْتَطِحُ

(١) الكيس : العاقل . دان نفسه : جازاها على أعمالها وحاسبها على ما فرط منها واذها
في طلب الحق : (٢) أى كما تجازى تجازى بملكك وبحسب ما عملت (٣) يجنى : يذنب ويحرم
(٤) الصرعة : الذى يصرع الناس ويغلبهم . أى ليس الشديد من يغلب الناس إنما
الشديد من يغلب نفسه ويملكها عند الغضب

فِيهَا عَنزَانٌ ^(١) . — لَأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ
يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ ^(٢) . — لَسْتُ مِنْ دَدٍ ^(٣) وَلَا الدُّدِ مِنِّي . — لَقَدْ
أَوْصَانِي جَبْرِيْلُ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ تَوْرِيثَهُ ^(٤) . — لَقَدْ شَقِيتُ
إِنْ لَمْ أَعْدِلْ . — لَعَنَ اللَّهُ مَنْ مَثَلَ بِالْحَيَوَانَ ^(٥) . — لَعَنَ اللَّهُ
الْمُخَنَّثَ ^(٦) . — لَمْ يَكْذِبْ مَنْ نَمَى ^(٧) بَيْنَ اثْنَيْنِ لِيُصْلِحَ . —
لَوْ بَغَى جَبَلٌ عَلَى جَبَلٍ أَذْكَ الْبَاغَى مِنْهُمَا . — لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ
يُسْرَيْنِ . — لَنْ يَهْلِكَ أَمْرٌ بَعْدَ مَشُورَةٍ . — لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ
مَنْ لَمْ يَأْمَنْ جَارَهُ غَوَائِلَهُ ^(٨) . لَيْسَ لِأَحَدٍ فَضْلٌ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا
بِدَيْنٍ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ . — لَيْسَ مِنِّي إِلَّا عَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ . — لَا عَقْلَ
كَالتَّذْيِيرِ ، وَلَا وَرَعَ كَالْكَفِّ ^(٩) ، وَلَا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخَلْقِ
لَا إِيْمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ . — لَا فَقْرَ

(١) أى لا يجرى فيها خلاف ولا نزاع . وهو مثل يضرب لما لا ينبغي الكلام فيه لانه معروف (٢) الصاع : الذى يكال به وهو أربعة أمداد والمدى بالم (١٣٨) ثمانية وثلاثين ومئة درهم من دراهم اليوم .

(٣) الدد : الالهو واللعب . (٤) هذه رواية الطبرانى . وفي رواية البخارى : ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه . (٥) مثل بالحيوان . نكل به . والتكليل به أن يقطع نحو اذنه ويده وانفه (٦) المخنث الذى يتشبه بالنساء باللين والتكسر ورخامة الصوت واللباس . (٧) نعى : قال فى مجاز الاساس : نعت الحديث الى فلان رفعته وأسندته ويقال نعت الحديث بافته على جهة الاصلاح ونعته « بتشديد الميم » بلفته على جهة الامساده ومعنى الحديث ان من يسند كلاماً الى آخر لم يقله ، الاصلاح بين الناس فليس بكاذب (٨) غوائله : أى أضراره ومساويه . والغوائل فى الاصل المهاكات

(٩) أى كالاتناع عن المعاصى

أَشَدُّ مِنَ الْجَهْلِ ، وَلَا مَالَ أَعَزُّ مِنَ الْعَقْلِ ، وَلَا وَحْشَةَ أَشَدُّ مِنَ الْعُجْبِ ^(١) . — لَا تَظْهَرُ الشَّمَاتَةُ بِأَخِيكَ ، يُعَافِيهِ اللَّهُ وَيَبْتَلِيكَ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ ^(٢) . — لَا يَقْضِيَنَّ حَكْمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضَبَانٌ . — لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ لَا يُبْلَغُ ^(٣) الْمُؤْمِنُ مِنْ جُجْرٍ ^(٤) مَرَّتَيْنِ . — لَا تَوَكَّى ^(٥) فَيُوكَى عَلَيْكَ ، إِرْضَخِي ^(٦) بِمَا اسْتَطَعْتِ . — لَا ضَرَرَ ^(٧) وَلَا ضِرَارَ لَا تُحْصِي ^(٨) فَيُحْصَى عَلَيْكَ .

الميم

المرء مع من أحب — المجالس بالأمانة ^(٩) — المستشار

(١) لان المعجب بنفسه المتكبر على غيره تنفر منه الناس فيعيش منفرداً لذلك
(٢) القتات : النمام وهو من ينقل أحاديث الناس الى غيرهم (٣) لا يبلغ : رواه الميداني في الامثال لفظ لا يلسع ومعناها واحد، والجحر : لنحو الحية مكان مبيتها . أى اذا اسم الانسان من جحر حية فلا يتعرض له مرة أخرى وهو مثل يضرب لمن تكب أو أصيب مرة بعد أخرى (٤) الجحر . كل مكان تحتفره الهوام والسباع لا نفسها ووجهه حجرة وأججار (٥) لانوكى أى لا تبغلى بما عندك وتمنعه . يقال اوكى على ماني سقائه اذا شده بالوكاء وهو الحيط الذى يشد به رأس القربة . أى لا تربطى على ما عندك من الرزق بمعنى لا تمتنى عن التصدق به خوفاً من نفاذه فيوكى عليك أى تنقطع عنك مادة الرزق (٦) ارصخي : الرضخ العطاء اليسير أى أعطى وانفقي ما استطعت من غير تبذير ولا تقتير (٧) المعنى لا ضرر للنفس ولا اضرار بالغير . أى لا تعمل ما يضر بك ولا بغيرك (٨) لعل المعنى : لا تحصى على الناس زلاتهم . أى لا تؤاخذهم بما يفرط منهم من الهفوات . بل عاملهم بالاغضاء عن زلاتهم والسماح عن هفواتهم . ولا تمدى عليهم ذلك فيحصى الله عليك ذنوبك ويعاملك بمثل ما تعاملين به عباده . أو أن المعنى : لا تحصى ما تحودين : من الاحسان الى الناس فيحصى الله عليك . (٩) أى فلا يجوز افشاء ما دار فيها من الكلام واداعته بين غير أهله

مُؤْتَمِنٌ^(١) — مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ^(٢) — مَا حَاكَ
 فِي صَدْرِكَ فَدَعَهُ^(٣) . مَا خَابَ مَنْ اسْتَخَارَ^(٤) ، وَلَا نَدِمَ مَنْ
 اسْتَشَارَ ، وَلَا عَالَ مَنْ اقْتَصَدَ^(٥) . مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لِحْيَيْهِ^(٦)
 وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ — مَنْهُوَ مَنْ^(٧) لَا يَشْبَعَانِ :
 طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا . — مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَزَكَاةُ
 مَا لَا يَعْنِيهِ^(٨) . مَا آمَنَ بِالْقُرْآنِ مِنْ اسْتَحَلَّ حَاَرَمَهُ^(٩) . —
 مُدَارَاةُ النَّاسِ صَدَقَةٌ^(١٠) ، — مَسْكَرُمُ الْأَخْلَاقِ أَعْمَالُ أَهْلِ
 الْجَنَّةِ . — مَنْ الْبِرُّ أَنْ تَصِلَ صَدِيقَ أَبِيكَ^(١١) . مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ
 رَفْقُهُ فِي مَعِيشَتِهِ^(١٢) . — مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ اسْتَحْيَا . — مَنْ
 أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ . — مَنْ أَمَرَ

- (١) المستشار : من يستشيره الناس . أى يجب أن تكون صفته الامانة فلا يجوز أن يشير على من استشاره بغير ما فيه المصاحبة والخير ولو كان المستشار عدوا له الله
 (٢) ابطأ : تأخر . ابطأ به اجره (٣) أى ما يعتريك فيه شبهة وتركه (٤) استخار
 طلب الخير (٥) عال : افتقر . اقتصد : أى لم يسرف ولم يفتقر بل التزم الحد الاوسط
 في المعيشة (٦) مثنى لحي وهو منبت شعر اللحية والمراد بما بين اللحيين اللسان او الفم
 عافيه بحيث لا يطعم حراماً ولا ينطق الا بما يوافق الشرع فلا يفتاب ولا يكذب ولا ينقل
 احاديث الناس ولا يسر ولا يامن الى غير ذلك من الآفات اللسانية . والمراد بما بين الرجلين
 الذكر بحيث لا يكشفه على المحرم (٧) النهم : ينتهين افراط الشهوة في الطعام .
 (٨) أى مالا يهتمه وليس له فيه حاجة (٩) لان العمل الصالح اثر الايمان الصحيح . فمن
 آمن حتى الايمان . انجز جزوا اجر القرآن . وقد ورد : الايمان غرثان . أى جائع يطلب العمل
 كما يطلب الحائض الطعام . (١٠) الا اذا اتت المداراة بضرر في دين أو دنيا .
 (١١) أى ان من البر الى الوالدين الاحسان الى اصدقائهما . (١٢) الفقه العلم .
 أى ان من جملة علم الانسان ان يعلم كيفية الاقتصاد ليرفق في معيشته فيحيى هنيئاً .

بِمَعْرُوفٍ فَلْيَكُنْ أَمْرُهُ بِمَعْرُوفٍ^(١) مَنِ بَدَأَ جَفَا^(٢) . — مَنِ
 تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ . — مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ مِنَ الْخَيْلَاءِ^(٣) لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ
 إِلَيْهِ . — مَنْ حَامَ حَوْلَ الْحِمَى^(٤) يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ . مَنْ رَحِمَ
 وَلَوْ ذَيْبِحَةَ عُصْفُورٍ رَحِمَهُ اللَّهُ . — مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ
 أَجْرِ فَاعِلِهِ . — مَنْ ذَكَرَ رَجُلًا بِمَا فِيهِ فَقَدِ اغْتَابَهُ^(٥) . مَنْ رَدَّ
 عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ . — مَنْ جَلَبَ^(٦) عَلَى خَيْلِ
 الرَّهَانِ فَلَيْسَ مِنَّا . — مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْلَمَ فَلْيَلْتَزِمِ الصَّمْتَ^(٧) .
 مَنْ صَمَّتْ نَجَابًا . — مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا^(٨) . — الْمُسْلِمُ مَنْ

(١) أى من نصب نفسه لوعظ الناس وإرشادهم وانتقاد آدابهم فليستعمل التؤدة والتأني والرفق والمعروف من القول . فلا يتهور بلسانه أو قلمه بل يجعل الحكمة في البصيرة نصب عينيه فإن فعل غير ذلك فقد أصاع المقصود وحرّم النتيجة . وقد كنا كتبنا في هذا الموضوع موضوع الانتقاد والأمر بالمعروف رسالة وإفية نشرناها في المجلد الأول من مجلّتنا « النّهاس » وفي كتابنا « أريج الزهر » فليرجع اليها من شاء . (٢) بدأ : سكن البادية . (٣) الخيلاء . الكبر (٤) الحمى : المراد به هنا المحظورات الشرعية على سبيل المجاز (٥) إن ذكره بما فيه فعله أثم الغيبة وإن ذكره بما ليس فيه فعله أثم الغيبة والكذب . (٦) جلب على الخيل : صاح بها أو كرها لتمدود وتجري . الرهان : المسابقة على الخيل . والمعنى أن من يجهد فرسه ويضربها أو يصيح بها لتجري سريعاً يوم السباق فليس منا . لأن هذا مناف لشروط الرهان ولأنه ليس من باب الشفاعة والمرحمة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم . لأنه يمت رحمة للعالمين طاقلم وغير طاقلم . (٧) الصمت السكوت (٨) هذه رواية الترمذى . ورواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والخام بلفظ : ليس منا من غش . أى ليس منا من غش أحداً من الخلق لأن الغش حرام لسلك عباد الله

سَلِمَ الْمَسْلُومُونَ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ ^(١) وَالْمُهَاجِرُ ^(٢) مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ . مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ . — الْمُؤْمِنُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ فِيمَا أُحِلَّ — مَنْ أَنَاءُ أَخُوهُ مُتَنَصِّلًا ^(٣) فَلْيَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُ حَقًّا كَانَ أَوْ مُبْطِلًا ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ لَمْ يَرِدْ عَلَى الْحَوْضِ .

النون

نَامُوا إِذَا أَنْتَبَهُمْ فَأَحْسِنُوا ^(٤) . — نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ ^(٥) فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ : الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ . نِعْمَتِ الدُّنْيَا لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا لِآخِرَتِهِ . — نَفَقَةُ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ صَدَقَةٌ ^(٦) . — النَّدَمُ تَوْبَةٌ . — النَّاسُ عَالِمٌ وَمُتَعَلِّمٌ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَا بَيْنَهُمَا . —

(١) فان آذاهم بكلامه او بيده فليس بمسلم على الحقيقة . وكذا من آذى الذميين والمعاهدين ومن هم في امان المسلمين . فايذاء المسلم وايذاؤهم سواء . لان لهم مالنا وعليهم ما علينا . وقد قال الرسول : من آذى ذمياً فانا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة (٢) المهاجر : المراد به من هاجر مع النبي الى المدينة وفضله معلوم مشهور والمعنى : ليس المهاجر من هاجر همى بل من ترك ما نهى الله عنه (٣) متنصلاً متبرئاً من ذنبه (٤) أى احسنوا اقوالكم وافعالكم (٥) مغبون : مخدوع والمعنى ان الصفة والفراغ خدع بهما كثير من الناس (٦) أى يؤجر عليها كما يؤجر على الصدقة

النَّاسُ كَأَبْلِ مِائَةٍ^(١) لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً . النَّسَاءُ حَبَائِلُ^(٢) الشَّيْطَانِ .
النَّاسُ^(٣) مَعَادِنُ

الهَاء

الهِمُّ نِصْفُ الْهَرَمِ . - هَلْ يَكْبُ النَّاسُ عَلَى وُجُوهِهِمْ
إِلَّا حَصَائِدُ^(٤) السِّنْتِهِمْ . هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا
بِضَعْفَائِكُمْ^(٥) . - هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ^(٦)

الوِاؤ

الوَاحِدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ . - وَيَلُ لِّلَّذِي يُحَدِّثُ
فِيكَذِبٍ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ .

الياء

الْيَمِينُ حِنْتُ^(٧) أَوْ نَدَمٌ . - الْيَوْمَ الرَّهَانُ^(٨) وَغَدَا السَّبَاقُ

(١) الأبل : الجمال . الراحلة : ما يصلح للركوب ووضع الرجل عليه من الجمال والمعنى أن الناس كثير والنافع منهم قليل (٢) الحبائل : جمع حباله وهي شبكة الصائد أي أن النساء شباك للشيطان يصطاد بها أوليائه . ونسبه الميداني في الامثال لابن مسعود (٣) أي فنههم الفث والسدين والنافع والضار (٤) كبه على فاكب : صرعه والقاه حصائد السنتهم : أي ما تحصد السنتهم من الشرور وما تلفظه من البذاء والفحش (٥) فيه من الحث على القيام بشأن الصفاء مالا يخفى والمراد بالضعفاء : من ليس لهم قوة على مباشرة الاعمال لكبر او عاهة او مرض (٦) أي الذين يتنطعون في العبادة ويتمقون فيها ويكفون انفسهم مالا تطيق . وقد ورد في الحديث : « إياكم والغلو في الدين » راجع الكلام على شرح حديث « إن هذا الدين متين » في باب الهمة (٧) الحنت : الخلف في اليمين (٨) الرهان : المراد به هنا إخراج كل من المتراهنين

والغاية الجنة ، والهالك من دخل النار . — اليد العليا خير من
اليد السفلى ^(١) — اليمين الفاجرة ^(٢) تدع الديار بلاقة . — يا بني
سامة دياركم تكتب آثاركم ^(٣) . — ينصب لكل غادر لواء
يعرف به ^(٤) . — يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة أمثال
الذرة ^(٥) يطوهم الناس — يحب الله من العامل إذا عمل أن يحسن ^(٦)

تم الكتاب

وكان الفراغ من تأليفه في شهر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وألف
١٣٢٣ للهجرة في بيروت . وكان الفراغ من هذه الطبعة الثالثة أوائل ربيع
الأول سنة ١٣٤٣

وهنا ليفوز السابق للجميع (١) ينبه على ترك السؤال والحث على العمل (٢) الفاجرة .
الكاذبة . بلاقع : جمع بلقع وهي الأرض التي لا شيء فيها (٣) أي ما تركونه فيها من
خير أو شر (٤) أي يوم القيامة (٥) الذر : جمع ذرة وهي أصغر النمل (٦) سواء
كان العمل له أو لغيره . بل ان كان لغيره فينبغي ان يكون الاحسان فيه اشد من أهمل
فهو غاش خائن وان اتقن فهو ممدوح في الدنيا والآخرة .